سعيد بن عمرو الحرشي

فاتح شطر أرمينية ثانية وشطر خراسان

تأليف

اللواء الركن

محمود شيت خطاب

عضو المجمع العلمي العراقي

جمع وترتيب :

المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي

فرزة من مجلة مجمع اللغة العربي بدمشق

المجلد 56 الجزء الأول + الجزء الرابع

سعيد بن عمرو الحرشي

فاتح شطر أرمينية ثانية وشطر خراسان

الأستاذ محمود شيث خطاب

أولا : نسبه وأيامه الأولى

هو سعيد بن عمرو بن أسود بن مالك بن كَعْب بن الحَرِيْشِ ابن كَعْب بن ربيعة بن عامرِ بن صَعْصَعَة ، واسم الحَرِيش معاوية ابن كَعْب[١] من قَيْس عَيلان بن مُضَر[٢] .

ولم يكن سعيد من رؤساء قبيلته ، بل كان عِصامياً ، تقدّم بكدّه وعرقه وكفايته ، وكان في صغره فقيراً مُعْدَماً يسأل على الأبواب ، ثم صار يسقي الماء ، ثم احترف الجندية ، فَعَلَتْ حالُه [٣] ، وتقدّم في المناصب الادارية والعسكرية . ويبدو أنه لفت أنظار المسؤولين في الدولة بشجاعته وكفايته ، ففرض بجهده ومزاياه نفسه على الحاكمين ، ولم يفرضها بحسبه ونسبه .

ولا نعرف متى وأين وُلد ، ولا تفاصيل حياته الأولى ، ولا سنة رحيله عن الدنيا ، وقد ذُكر أنه شاميّ ، وولده بأرمينية[٤] ، وأمه حبشيّة[٥] .

---

(١) جمهرة أنساب العرب (٢٨٨) .

(٢) جمهرة أنساب العرب (٢٧١) .

(٣) جمهرة أنساب العرب (٢٨٨) وتهذيب ابن عساكر(٦/١٦٤).

(٤) جمهرة أنساب العرب (٢٨٨) وتهذيب ابن عساكر (٦/١٦٤)

(٥) المحبر (٣٠٨) .

لقد كان حظّ سعيد عند المؤرخين وكتاب السير في مجال حياته الخاصة حظّاً عاثرا ، فبخلوا عليه بذكر حياته الشخصية ، وعوّضوا عليه بذكر حياته العامة قائداً وإداريا .

ثانيـا : في توطيد الأمن الداخلي :

١ ـ في حرب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث[1] :

شهد سعيد ثورة ابن الأشعث على عبد الملك بن مروان ، وكان يقاتل تحت راية الحجّاج بن يوسف الثقفيّ . وفي يوم من الأيام خرج رجل من أهل العراق يقال له : قدامة بن الحريش من رجال ابن الأشعث ليبارز رجلاً من رجال الحجّاج . وخرج إليه رجل من أهل الشّام فقتله ، حتى قتل أربعة من أهل الشّام . ولما رأى الحجاج ذلك، أمر منادياً فنادى : لا يخرج الى هذا الرجل أحد ! فكف الناس .

وكلّم سعيدٌ الحجّاج فقال : « إنك رأيت ألاّ يخرج الى هذا الرجل أحدٌ ، وانما هلكَ مَنْ هلكَ من هؤلاء النّفر بآجالهم ،ولهذا الرّجل أجلٌ ، وأرجو أن يكون قد حضر ، فأْذَن لأصحابي الذين قدِموا معي فليخرج إليه رجل منهم » .

وأذِنَ الحجّاج ان يخرج احد اصحاب سعيد لمبارزة هذا الرجل، ولكنّ الرّجل عاجل الشّامي الذي خرج لمبارزته من أصحاب سعيد فقتلـه .

وشقّ ذلك على سعيد ، فاستأذن الحجّاج في الخروج لمبـارزة

---

[1] انظر تفاصيل ثورة عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث في الطبري (٦/ ٣٣٤ ـ ٣٤١) و (٦ / ٣٤٢ ـ ٣٤٥) و (٦ / ٣٤٦ ـ ٣٥٠) ، وابن الأشعث الكندي ، انظر ما جاء عنه في جمهرة انساب العرب (٤٢٥) .

فتدلمة ، فقال له : « وعندك ذلك ؟ » ، فقال سعيد : « نعم ، أنا كما تحبّ » ، فأمر له الحجّاج بسيف مرهف ثقيل ، وأذن له بالمبارزة .

ومهما تكن نتيجة المبارزة ، اذ لم ينتصر سعيد على خصمه ويقضي عليه ، إلاّ أنّ مجرّد خروجه الى المبارزة متطوّعاً ، يدل على شجاعته وثقته بنفسه وحرصه على انتصار الدولة على ابن الأشعث وأصحابه[1] .

٣ ـ القضاء على فتنة شَوْذَب الخارجي :

في سنة مئة الهجرية (٧١٨ م) ، خرج شَوْذَب الخارجيّ ، وهو بِسْطَام من بني (يَشْكُر)[2] في (جُوْخَى)[3] ، وكان في ثمانين رجلا .

وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب عامله بالكوفة ، ألاّ يُحَرِّكهم حتى يسفكوا دماءً ويفسدوا في الأرض ، فإن فعلوا فوجّه إليهم رجلاً صليباً حازماً في جُنْد .

وبعث عبد الحميد والي الكوفة محمد بن جرير بن عبد الله البَجَلِيّ[4] في ألفين ، وأمره بما كتب عمر بن عبد العزيز إليه .

---

(١) انظر التفاصيل في الطبري (٦ / ٣٦١ ـ ٣٦٢) .

(٢) هو يشكر بن بكر بن وائل ، انظر التفاصيل في جمهرة أنساب العرب (٣٠٨) .

(٣) جوخى ، وردت في معجم البلدان (٣ / ١٦١) : جوخا ، اسم نهر عليه كورة واسعة في سواد بغداد ، ولم تكن ببغداد كورة مثل جوخا .

(٤) انظر سيرة أبيه : جرير بن عبد الله البجلي في كتابنا : قادة فتح العراق والجزيرة (٣٥٦ ـ ٣٧١) .

كما كتب عمر بن عبد العزيز الى بِسْطَام الخارجي ، يسأله عن مخرجه ، وكان في كتاب عمر الى بِسْطام : « بلغني أنك خرجتَ غَضباً لله ولرسوله ، ولستَ أولى بذلك مني ، فهلمّ إليّ أناظرك ، فإن كان الحق بأيدينا ، دخلتَ فيما دخل الناس ، وإن كان في يدك نظرنا في أمرك » ، فقدم كتاب عمر الى بِسطام وقد قدم إليه محمد بن جرير ، فقام بإزائه لا يتحرّك •

وكتب بسطام الى عمر : « قد أنصفتَ ، وقد بعثتُ إليك رجلين يدارسانك » •

ووصل الرجلان الموفدان من بسطام الخارجيّ ، وناظرا عمر بن عبد العزيز ، فاقتنعا بوجهة نظره •

ومات عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه سنة إحدى ومئة الهجرية (٧١٩ م) ، ومحمد بن جرير مقابل الخوارج ، لا يتعرّضون إليه ولا يتعرّض اليهم ، وكلّ منهم ينتظر عودة الرُسل من عند عمر بن عبد العزيز ، فتوفي عمر والأمر على ذلك[١] •

وتولّى يزيد بن عبد الملك بن مروان الخلافة بعهده من أخيه سليمان بن عبد الملك بعد عمر بن عبد العزيز[٢] ، فأحبّ عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب أمير الكوفة ، أن يحظى عند يزيد بن عبد الملك ، فكتب الى محمد بن جرير يأمره بمناجزة شَوْذَب •

ولما رأى الخوارج محمد بن جرير يستعدّ للحرب قالوا : « مافعل

---

(١) انظر التفاصيل في : الطبري (٦ / ٥٥٥) وابن الاثير (٥ / ٤٥ ـ ٤٨) •

(٢) ابن الأثير (٥ / ٦٧) •

هؤلاء هذا إلاّ وقد مات الرّجل الصالح » ، يريدون عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه .

ونشب الاقتتال بين الجانبين ، فأصيب من الخوارج نفرٌ ، وقُتل الكثير من أهل الكوفة وانهزموا ، وجُرح محمد بن جرير فدخل الكوفة ، وتبعهم الخوارج الى الكوفة ، ثم رجعوا الى مكانهم .

ووجّه يزيدُ بن عبد الملك تَميمْ بن الحُبَاب في ألفين الى شَوْذب الخارجيّ ، فاقتتل الجانبان وقتل شوذب كثيراً من أصحاب تميم ، فلجأ فلول جيش تميم هاربين الى يزيد بن عبد الملك والى الكوفة أيضاً .

وأرسل يزيد بن عبد الملك جيشاً بقيادة نَجْدَة بن الحَكَم الأَزْدِيّ الى شوذب ، فقتله الخوارج وهزموا رجاله ، فوجّه يزيد السَجّاح بن ودَاع في ألفين ، فقتلوه وهزموا رجاله أيضاً .

وأقام الخوارج بمكانهم حتى دخل مسْلَمَةُ بن عبد الملك الكوفة ، فشكا إليه أهل الكوفة مكان شَوْذَب وتأثيره في اضطراب الأمن وأثره في قوات الدولة ، فأرسل اليه مَسْلَمَةُ سعيدَ بن عمرو الحَرَشِيّ ، وكان[1] فارساً من فرسان العرب[2] في عشرة آلاف .

وأتاه سعيدٌ في مكانه ، فرأى شوذبُ وأصحابُه مالا قِبَل لهم به ، فقال لأصحابه : « مَنْ كان يريد الشّهادة ، فقد جاءته ، ومَن

---

(١) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح بلاد الروم .

(٢) هذه العبارة ينبغي ان تكون منقولة من احد كتب التاريخ الوارد ذكرها في الحاشية ويقتضي حذفها لأنها تفترض ان التعريف بسعيد الحرشي لم يأت بعد .

كان يريد الدنيا ، فقد ذهبت » •

وكسر الخـوارج أغمـاد سيوفهم وحملوا ، فكشـفوا سعيداً وأصحابه مراراً ، حتى خاف سعيد الفضيحة ، فوبّخ أصحابه وقال : « من هـذه الشرذمة لا أبَ لكم تَفِرّون يا أهـل الشّام ! يومـاً كأيامكم » •

وحمل سعيد وحمل أصحابه معه على الخوارج حملـة صادقة ، فطحنوهم طحناً ، وقتلوا بِسطاماً ـ وهو شَوْذَب ـ وأصحابه[1] •

وهكذا قضى سعيد بحسن قيادته وثباته وتحريضه أصحابه علـى الاقتتال والثبات ، على فتنة شوذب التي أثرت في معنويات سـكّان جنوبي العراق ، وأشاعت الفوضى والاضطراب فيه ، وكبّدت الدولة خسائر فادحة بالأموال والرجال •

٣ ـ القضاء على فتنة يزيد بن المُهَلَّب :

حبسَ عمر بن عبد العزيز في سجن (حَلَب) يزيـد بن المهلّب سنة مئـة الهجرّية (٧١٨ م) ، فبقـي يزيـد في محبسه حتى بلغـه مرض عمر[2] •

ولما اشتدّ مرض عمر بن عبد العزيز ، خاف يزيد بن المُهَلّب من

---

(١) انظر التفاصيل في : الطبري (٦ / ٥٧٥ ـ ٥٧٨) وابن الاثير (٥ / ٦٨ ـ ٧٠) وانظـر : العيـون والحدائـق في اخبـار الحقـائق (٦٥) •

(٢) الطبري (٦ / ٥٥٦ ـ ٥٥٨) وابن الاثير (٥ / ٤٨ ـ ٥٠) ، وانظر كتاب : الوزراء والكتاب (٣١) •

يزيد بن عبد الملك[١] ، فهرب من محبسه سنة إحدى ومئة الهجرّية[٢] (٧١٩ م) •

ووصل يزيد بن المهلّب الى العراق ، وسيطر على (البَصْرَة) ، فأصبح الموقف في العراق خطيراً للغاية بالنسبة للدولة •

وأرسل يزيد بن عبد الملك الى (الكوفة) شيئاً من المال ، ومَنَّى أهلَها الزيادة ، وجهّز أخاه مَسْلَمَة بن عبد الملك وابن أخيه العبّاس ابن الوليد بن عبد الملك[٣] في سبعين ألفاً من أهل الشّام وجزيرة ابن عمر ، وقيل : كانوا ثمانين ألفاً ، فسارا الى العراق ، وقَدِما (الكوفة) ونزلا (النُّخَيْلَة) [٤] •

وسار يزيد بن المهلّب من (البَصْرَة) ، واستعمل عليها أخاه مروان بن المهلّب ، وأتى (واسِطاً)[٥] واقام بها أياماً حتى خرجت

---

(١) كانت بين يزيد بن عبد الملك ويزيد بن المهلب عداوة شخصية قبل ان يتولى يزيد بن عبد الملك الخلافة ، وقد توعد كل منهما صاحبه، انظر ابن الأثير (٥ / ٥٧) •

(٢) انظر التفاصيل في : الطبري (٦ / ٥٦٤ ــ ٥٦٥) وابن الاثير (٥ / ٥٧ ــ ٥٨) وابن خلدون (٣ / ١٦٦) •

(٣) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح بلاد الروم •

(٤) النخيلة : موضع بالقرب من الكوفة على سمت الشام ،انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨ / ٢٧٦ ــ ٢٧٧) •

(٥) واسط : مدينة كبيرة بناها الحجاج بن يوسف الثقفي ، وسميت : واسطا ، لأنها متوسطة بين البصرة والكوفة ، انظرالتفاصيل في : معجم البلدان (٨ / ٣٧٨ ــ ٣٨٧) ، وقد أطلق اسم واسط على محافظة من محافظات العراق الحديث ، وهي محافظة الكوت على نهر دجلة في العراق الاوسط ، احياء لذكرى مدينة واسط القديمة .

سنة إحدى ومئة الهجرية[1] .

ودخلت سنة اثنتين ومئة الهجرية (٧٢٠ م) ، فسـار يزيد بن المهلّب من (واسِط) واستخلف عليها ابنه معاوية ، وجعل معه بيت المال والأسرى .

وسار يزيدُ بن المهلّب بجيشه على فـم (النِّيْل)[2] حتى نزل (العَقْرَ)[3] ، فعسكر هناك .

وأقبل مَسْلَمَة بن عبد الملك بجيشه سالكاً طريق نهر (الفُرات) الى مدينة (الأَنْبار)[4] ، فعقد عليها جسراً وعبر .

وفي طريق مسلمة الى (العَقْر) ، في مرحلة مسير الاقتراب ، عقد يزيد بن المهلّب لعبد الله بن حَيَّان العَبْـدِيّ على أربعـة آلاف ، فعبروا نهر (الصَّرَاة)[5] لعرقلة مسيرة مَسْلَمة ، ولكنّ مسلمـة

---

(١) انظر التفاصيل في : الطبري (٦ / ٥٧٨ ــ ٥٨٩) وابن الاثير (٥ / ٧١ ــ ٧٧) وابن خلدون (٣ / ١٦٦ ــ ١٦٩) ، وانظر خلاصة الذهب المسبوك (٢٦) .

(٢) النيل : بليدة في سواد الكوفة قرب مدينة (الحلة) : حلـة بني مزيد ، يخرقها خليج كبير يتخلج من الفرات الكبير ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨ / ٣٦٠) .

(٣) العقر : عقر بابل ، قرب كربلاء من الكوفـة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦ / ١٦٤ ــ ١٦٥) .

(٤) الانبار : مدينة على الفرات في غرب بغداد ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١ / ٣٤٠ ــ ٣٤٢) ، وهي مدينة الفلوجة كما تسـمى اليوم ، وأطلق اسمها على محافظة من محافظات العراق الحديث ، وهي محافظة الرمادي التي أصبح اسمها اليوم : محافظة الأنبار .

(٥) الصراة : المقصود هنا : صراة جاماسب ، تستمد ماءها من الفرات ، بنى عليها الحجاج بن يوسف الثقفي مدينة النيل التـي بأرض بابل ، انظر معجم البلدان (٥ / ٣٤٩) .

وجّه إليهم خيلاً من أهل الشّام عليهم سعيد بن عمرو الحَرَشِيّ .
وكان لأهل الشّام كمين في منطقة نهر (الصّراة) ، فاقتتلوا وقُتل عبد الله بن حيان ثم خرج كمين أهل الشام على رجال عبد الله بن حَيّان ، فانهزموا حتى أتوا يزيد بن المهلّب(١) .

وعبر مَسْلَمَة (الصّراة) بجيشه ، بعد أن طهّر له الطريق سعيد ، فعبر النهر وهو آمن مطمئن ، لا يخشى مقاومة قوّات يزيد ولا محاولة عرقلة مسيرته ، حتى اتخذ مواضعه تجاه جيش يزيد ، وخندق حول مواضعه خندقين(٢) .

وكان اجتماع يزيد بن المهلّب ومَسْلَمَة بن عبد الملك ثمانية أيام ، فلما كان يوم الجمعة لأربع عشرة مضت من صَفَر ، بعث مسلمةَ من يحرق الجسر .

وخرج مسلمة مُعَبّئاً أهل الشّام ، ثم قرب من ابن المهلب ، فلما أُحرق الجسر وسطع دخانه ، وقد أقبل الناس ونشب الاقتتال بين الجانبين ، ورأى أصحاب ابن المهلّب الدّخان ، وقيل لهم : أُحرق الجسر ، انهزموا !

وخرج يزيد بن المهلّب مع أصحابه المقرّبين في محاولة لردالمتهزمين من جيشه ، ولكنه أخفق في محاولته .

واشتد الاقتتال بين الجانبين ، فلما كان اليوم الذي قتل فيه يزيد ابن المهلّب وهو يوم الجمعة لأربع عشرة ليلة خلت من صفر سنة اثنتين

---

(١) العيون والحدائق (٧١) .

(٢) العيون والحدائق (٧١) .

ومئة الهجرية ، خرج محمد بن المهلب على فرسه يقاتل ، فضُرب على جبهته بعمود ، فقال له يزيد : « مَن ضَرَبك ؟ » ، قال : « لا أدري ! إلا أنه حين ضَرَبني قال : أنا الغلام الحَرَشي »[1] .

وكان يزيد يقاتل ، فجاءه مَن ينعى إليه أخاه حبيباً الذي قُتل في المعركة ، فقال يزيد : « لا خير في العيش بعده ! قد كنتُ والله أبغض الحياة بعد الهزيمة ، وقد ازددت لها بغضاً ! امضوا قُدُماً » ، فعلموا أنه قد استقتل .

وباشر يزيد القتال حتى قُتل وقُتل معه محمد بن المهلّب[2] .

لقد أحبط سعيد محاولة يزيد بن المهلّب عرقلـة مسير الاقتراب لجيش مسلمة ، فيسّر لمسلمة تنفيذ خطته المرسومة في القضاء على فتنة يزيد بن المهلّب ، كما برز سعيد في هذه المعركة قائداً منتصراً ، ومقاتلاً رهيباً ، وبطلاً فارسا .

ثالثـا : جهـــاده :

١ ــ في ميدان الصُّغْد[3] :

---

(١) العيون والحدائق (٧٢) .

(٢) انظر التفاصيل في : الطبري (٦ / ٥٩٠ ــ ٦٠٤) وابن الاثير (٥ / ٧٧ ــ ٨٩) وابن خلدون (٣ / ١٦٦ ــ ١٧٢) ، وانظر المسعودي (٣ / ١٩٩ ــ ٢٠٠) وتاريخ الموصل (١٠ ــ ١٦) والمعارف (٤٠٠) .

(٣) الصغد : منطقة واسعة جدا بين بخارى وسمرقند ، قصبتها سمرقند ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥ / ٨٦) و (٥ / ٣٦٢ ــ ٣٦٤) ، وهو اقليم بآسيا الوسطى يمثل اليوم التركستان الغربية ، انظر القاموس الاسلامي (٣ / ٣٦٨) . والصغـد امـة من التركمان باسـم المنطقة التي يطلق عليها : الصغد أيضا ، وقد تنطق بالسين .

في سنة ثلاث ومئة الهجريّة (٧٢١ م) عزل عمرُ بن هُبَيْرَة سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم الأموي عن (خُراسان) واستعمل سعيد بن عمرو الحَرَشِي[١] عليها.

ولما قدم سعيد الحَرَشِيّ (خُراسان)، وجد أعداء المسلمين قد تكالبوا عليهم وأثروا فيهم مادياً ومعنوياً، فجمع سعيد مَن حضر من المسلمين وخطبهم وحثّهم على الجهاد وقال: «إنكم لا تقاتلون بكثرة ولا بعِدّة، ولكن بنصر الله وعزّ الأسلام، فقولوا: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم.. وأنشد:

فلستُ لعامرٍ إنْ لم تَرَوْني
أمامَ الخَيْلِ أَطْعَنُ بالعوالي[٢]

فأضربُ هامَةَ الجبّارِ منهم
بِعَضْبِ الحَدِّ حودِثَ بالصِّقالِ[٣]

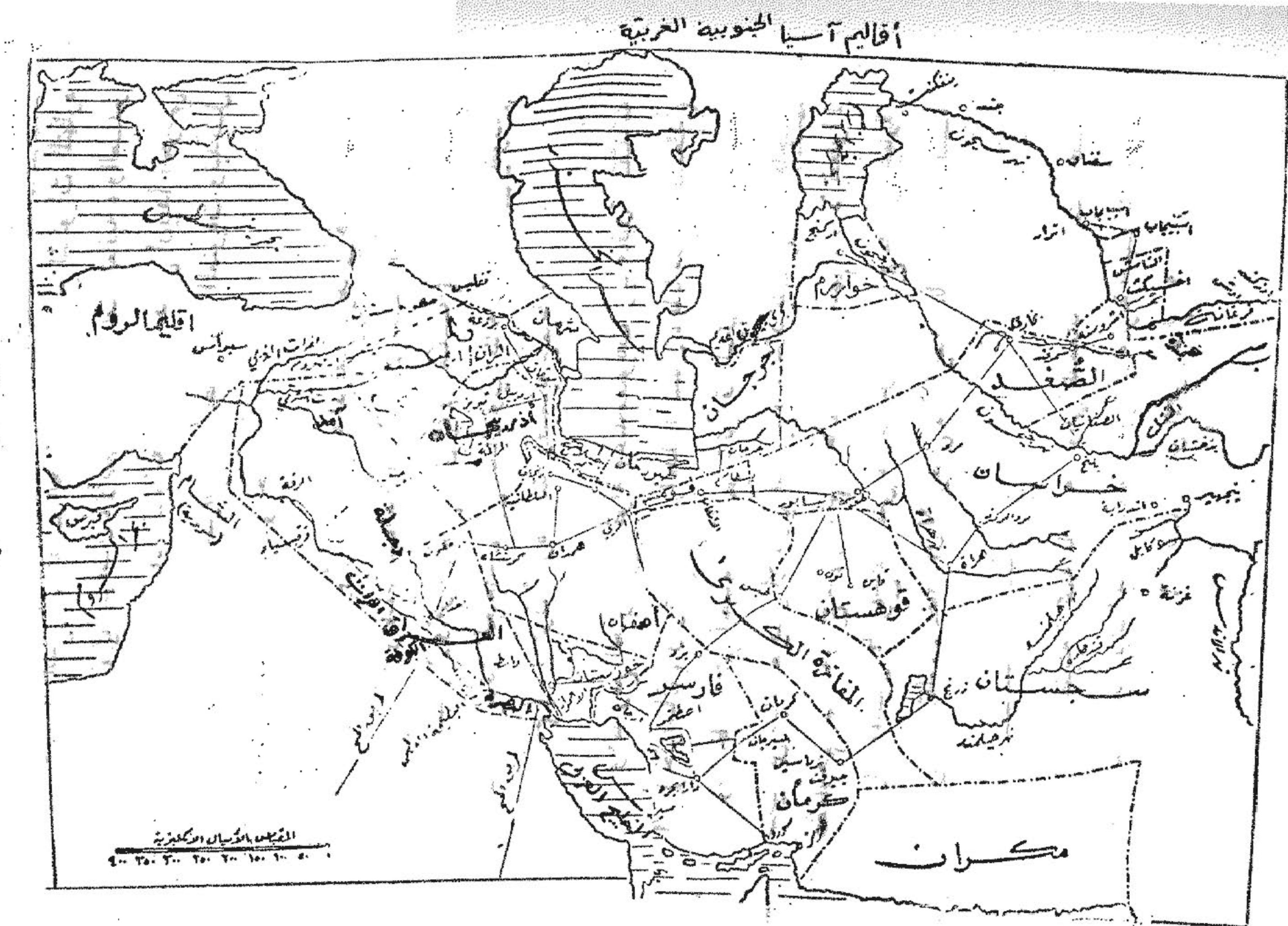
فما أَنا في الحروبِ بمُسْتَكينٍ
ولا أخشى مصاولة الرّجال

أَبَى لي والدِي من كلِّ ذَمٍ
وخالي في الحوادث خيرُ خال

إذا خطَرَتْ أمامي حيٌّ كَعْبٍ
وزافَتْ كالجبالِ بنو هِلالِ»[٤]

---

(١) الطبري (٦ / ٦٢٠) وابن الاثير (٥ / ١٠٣).
(٢) ابن الاثير (٥ / ١٠٤): نطعن.
(٣) حودث: جلي.
(٤) الطبري (٦ / ٦٢٠ – ٦٢١) وابن الاثير (٥ / ١٠٣ – ١٠٤).



أقاليم آسيا الجنوبية الغربية
اقليم الروم
جرجان
خوارزم
الصغد
خراسان
قوهستان
المفازة الكبرى
فارس
اصفهان
كرمان
سجستان
مكران
آذربيجان

ومن الواضح أن خطاب الحرشيّ كان لرفع المعنويات المنهارة لقوّات المسلمين في خُراسان ، لأنهم نُكبوا نكبات متعاقبة ، والعدو يحيط بهم ويهدّدهم بقواته المتفوّقة ، فكان لا بد من أن يبدأ الحرشي عمله الإداري والقيادي في خُراسان ، بمحاولة رفع المعنويات وتبديل أوضاعها المترديّة من حال الى حال .

ولعلّ الكلام المجرّد في مثل ذلك الموقف لا يجدي فتيلا ، لهذا بدأ بنفسه ، فقرّر أمام السامعين أنه سيكون امام المجاهدين ، ولا يكتفي بإصدار الأوامر إليهم ثم يبقى في (الخَلْف) بدون ان يعاني شخصياً ما يعانيه المجاهدون قبل القتال وفي أثنائه وبعده ، بل يقودهم من (الأمام) ، ليكون أسوة حسنة لأصحابه جميعا .

وكما رفع الحَرَشي بقوله وعمله معنويات رجاله، فإنّ مَقْدَمه الى (خُراسان) زعزع معنويات أعداء المسلمين ، فلما سمع (الصُّغْد) بقدومه خافوا على أنفسهم ، لأنهم كانوا قد اعانوا الترك أيام سلفه سعيد بن عبد العزيز الأُموي الملقّب بـ (خُذَينة)[1] ، فاجتمع عظماؤهم على الخروج من بلادهم ، فقال لهم ملكهم : « لا تفعلوا ! أقيموا ، واحملوا الخراج ما مضى ، واضمنوا له خَراج ما يأتي وعمارةَ الأرض » ، فقالوا : نخاف أن لا يرضى ، ولا يقبل ذلك منّا ، ولكنّا

---

(١) خذينة : كلمة فارسية ، وهي الدهقانة ربة البيت ، فقد كان سعيد خذينة ليتا سهلا متنعما ، فهو أشبه بربة البيت منه بالوالي القائد ، انظر الطبري (٦ / ٦٠٥) وابن الاثير (٥ / ٩٠) .

نأتي (خُجَنْدَة)[1] ، فنستجير ملكها ، ونرسل الى الامير ، فنسأله الصّفح عمّا كان منّا ، ونوثق له أنه لا يرى منا أمراً يكرهه . فقال لهم الملك : « أنا رجلٌ منكم ، والذي أشرتُ به عليكم خير لكم » [2] .

ويبدو أنّ ملك الصُّغْد كان ضعيفاً ، ولا رأي لمن لا يطاع ، كما أنّ أثر الحَرَشي المعنوي فيهم كان بليغاً ، فاضطرب أمرهم وولّوا الأدبار .

وخرج الصُّغْدُ الى (خُجَنْدَة) ، وأرسلوا الى ملك (فَرْغانة)[3] يسألونه أن يبسط حمايته عليهم وينزلهم مدينته ،فأراد أن يحقّق لهم رغباتهم ، ولكنّ أمّهُ نصحته ألاّ يقبلهم في مدينته ، بل يخصّص لهم مكاناً في منطقة اخرى .

وأرسل الملك إليهم أن يختاروا منطقة أخرى في بلاده يعيشون فيها قائلاً : « سمّوا رستاقاً تكونون فيه أفرّغه لكم ، وأجّلوني أربعين يوماً » ، وقيل : « أجّلوني عشرين يوماً » ، فاختاروا شِعْب عصام

---

(١) خجندة : مدينة مشهورة بما وراء النهر (جيحون) على شاطىء نهر (سيحون) ، بينها وبين سمرقند عشرة أيام مشرقا . وهي مدينة نزهة ليس بذلك الصقع أنزه منها ولا أحسن فواكه ، وفي وسطها نهر جار ، والجبل متصل بها ، وهي متاخمة لفرغانة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣ / ٤٠٢ ــ ٤٠٣) .

(٢) الطبري (٦ / ٦٢١) وابن الاثير (٥ / ١٠٤) .

(٣) فرغانة : مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان ، ومن ولايتها خجندة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦ / ٣٦٤ ــ ٣٦٥) .

ابن عبد الله الباهلي ، وكان قُتَيْبَة بن مُسْلِم الباهلي[1] قد خصّص هذا الشِّعْب لقريبه هذا وجماعته .

ووافق الملك على اختيار هذا الموضع من الصُّغْد ، ولكنه اشترط عليهم : « ليس لكم عليّ عقد وجوار حتى تدخلوه ، وإن أتتكم العربُ قبل أن تدخلوه ، لم أمنعكم » ، فرضوا بهذا الشرط ، ففرّغ لهم الشِّعْب[2] .

وسار الحَرَشِيّ سنة أربع ومئة الهجريّة (٧٢٢ م) ، وقطع النَّهر (جَيْحُون) ، ونزل في (قَصر الرِّيح)[3] على فرسخين من (الدَّبُوسِيَّة)[4] ، ثم أمر بالرّحيل قبل أن يجتمع إليه جنده ، فأشار عليه أحد رجاله بالتريّث ليجتمع اليه جنده أولاً ، ثم يرحل الى هدفه بعد ذلك[5] .

ومن الواضح أنه كان يريد الإسراع في تنقّله ، ليصل الى هدفه بسرعة مناسبة ، لأنه كان لعامل الوقت أثر في ضرب العدو قبل أن يرحل من (خُجَنْدَة) ، لذلك أمر بالرحيل قبل إكمال حشد جيشه ، ولكنه آثر التريّث بالرحيل عملاً بنصيحة أحد رجاله ، لأنّ تريّثه أسلم

---

(١) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح المشرق الاسلامي .

(٢) الطبري (٦ / ٦٢٢١ - ٦٢٢٢) وابن الاثير (٥ / ١٠٤ - ١٠٥) .

(٣) قصر الريح : قرية بنواحي نيسابور ، انظر معجم البلدان (٧ / ١٠١) .

(٤) الدبوسية : بليد من اعمال الصغد من وراء النهر ، انظر معجم البلدان (٤ / ٣٣) .

(٥) الطبري (٧ / ٧) وابن الاثير (٥ / ١٠٧) .

عاقبة من تسرّعه .

وأتاه ابن عمّ ملك (فَرْغَانَـة) ، وأخبره أنّ الصُّغْدَ في (خُجَنْدَة) ، وأشار عليه بأن يعاجلهم قبل أن يصلوا الى الشعب ، فليس لهم جوار علـى ملك (فرغانة) قبل أن يمضـي الأجل وهـو أربعون يوما .

ووجّه الحَرَشِـيّ مع ابن عـم ملك فَرْغانـة عبد الرحمن القُشَيْرِيّ وزياد بن عبد الرحمن في جماعة من جيشه ، ولكنه ندم بعدما فصلوا وقال : « جاءني عِلْج لا أعلم أصدق أم كذب ، فغرّرت بجند من المسلمين ! » ، فارتحـل في أثرهم علـى عَجَل ، حتى نزل (أشْروسَنَة)[1] ، فصالحهم بشيء يسير .

واستمرّ مسرعاً في مسيره باتجاه (خُجَنْدَة) لا يلـوي على شيء حتى لحق القُشَيْرِيّ بعد ثلاثة أيام ، وحينذاك فقط اطمأنّت نفسه على مصير رجاله .

ولما انتهى الى (خُجَنْدَة) ، قال له بعض أصحابه : مـا ترى ؟ قال : « أرى المعاجلة » ، قال : لا أرى ذلك ! إنْ جُرِح رجل فإلى أين يرجع ؟ او قُتل قتيل فإلى مَنْ يُحْمَل ؟ ولكنني أرى النزول والتأني والاستعداد للحرب .

ونزل الحَرَشِيّ ، وأخذ في التأهّب والاستعداد ، فلـم يخرج

---

(١) أشروسنة : بلدة كبيرة بما وراء النهر من بلاد الهياطلة بين سيحون وسمرقند ، وبينها وبين سمرقند ستة وعشرون فرسخا ، انظر التفاصيل في : معجم البلدان (١ / ٢٥٦ – ٢٥٧) .

أحد من العدو ، ولجؤوا الى داخل المدينة •

وحمل رجل من المسلمين ، فضرب باب (خُجَنْدَة) بعمود ، ففتح الباب ، وكان الصُّغد قد حفروا في ربضهم وراء الباب الخارج خندقاً وغطّوه بقصب وتراب مكيدةً ، وأرادوا اذا التقوا بالمسلمين وانهزموا كانوا قد عرفوا الطريق ، ويصعب على المسلمين معرفتها فيسقطون في الخندق • فلما خرج الصُّغد وقاتلوا المسلمين ، انهزموا ، فأخطأهم الطريق وسقطوا في الخندق ، فأخرج المسلمون منهم أربعين رجلاً •

وحصرهم الحَرَشِيّ ، ونصب عليهم المجانيق ، فأرسلوا الى ملك (فرغانة) : إنّك غدرت بنا ! وسألوه أن ينصرهم ، فقال : « قد أتوكم قبل انقضاء الأجل ، ولستم في جواري » •

وطلب الصُّغد الصلحَ وسألوا الأمان ، وأن يردّوهم الى بلادهم الأصليّة ، فاشترط عليهم الحَرَشِيّ : أن يردّوا ما بأيديهم من نساء العرب وذراريهم ، وأن يؤدوا ما كسروا من الخَرَاج ، ولا يغتالوا أحداً ، ولا يتخلّف منهم بـ (خُجَنْدَة) أحدٌ ، فأن أحدثوا حدثاً حلّت دماؤهم •

وخرج الى المسلمين رجالات الصُّغد وتجّارهم ، وترك أهل (خُجَنْدَة) على حالهم ، ونزل عظماء الصُّغد على الجند المسلمين الذين سبقت لهم معرفة بهم •

وبلغ الحَرَشِيّ أنّ الصُّغد قتلوا امرأة مسلمة ممن كان في أيديهم ، فقال : « بلغني أنّ أحدكم قتل امرأة ودفنها » فجحد الذي اشتُبِه به ، فتعمّق في التحقيق ، فاذا الخبر صحيح ، فدعا بالقاتل الى خيمته فقتله •

ولما سمع كارزنج أحد عظماء الصُّغد الذي كان في معسكر المسلمين بقتل الذي قتل المرأة العربية الأسيرة ، خاف أن يُقتل كما قُتل أخ له من قَبْل ، فأرسل الى ابن أخيه ليأتيه بسراويل ، وكان قد قال لابن أخيه : « إذا طلبتُ سراويل ، فاعلمْ أنه القتل » ، فبعث به اليه ،وخرج يعترض الناس ، فقتل عدداً منهم ، مما أدىَّ الى تضعضع العسكر الذين لقوا منه شرّاً ، فانتهى الى مَن قتله وأنقذ المسلمين من شرّه •

وقتل الصُّغْدُ أسرى عندهم من المسلمين يقدّر عددهم بمئة وخمسين رجلاً ، فأُخبر الحَرَشِيّ بذلك ، فسأل فرأى الخبر صحيحاً ، فأمر بقتلهم بعد عزل التجّار عنهم لأنهم غير محاربين ، فقاتلهم الصُّغْد بالخشب لأنهم كانوا بلا سلاح ، فقُتلوا عن آخرهم ، وكانوا ثلاثة آلاف ، وقيل : سبعة آلاف ، واصطفى أموال الصُّغد وذراريهم ، وأخذ منها ما أعجبه •

وكتب الحَرَشِيّ الى يزيد بن عبد الملك مباشرة ولم يكتب الى عمر بن هُبَيْرَة ، فكان هذا مما أوغر صدره عليه •

وسرّح الحرشِيّ سليمان بن أبي السَّرِيّ مولى بني عَوافة بن سَعْد بن زَيْد مناة بن تَميم(١) الى حصن يحيط به وادي الصُّغد إلاّ من وجه واحد ، فسيّر سليمان على مقدمته المُسَيّب بن بشر الرياحِيّ ، فتلقوه على فرسخ من الحصن ، فهزمهم حتى ردّهم الى حصنهم ، فحصرهم في داخل الحصن ، فطلب قائد الحصن أن ينزل

(١) جمهرة انساب العرب (٢١٥) •

على حكم الحَرَشِيِّ ، فسيَّره سليمان إليه ، فأكرمه • وطلب أهـل الحصن الصلح على ألاّ يتعرّض لنســائهم وذراريهـم ويُسْلِمون القلعة ، فبعث مَنْ قبضه ، وباعوه وقسموه •

وسار الحَرَشِيّ الى (كَشّ)[1] ، فصالحه أهلها على عشرة آلاف رأس ، وقيل : ستّة آلاف رأس : كل رأس منهم يعطي الجزيــة للمسلمين •

وسار إلى (زَرَنْج)[2] ، فوافاه كتاب ابن هُبَيْرَة بإطـلاق سراح قائد الحصن الذي طلب أن ينزل عـلى حكم الحَرَشِيّ ، ويدعى : ديوشتى ، فقتله الحرشيّ وصلبه !

واستعمل الحَرَشِيّ سليمانَ بن أبي السّري على (كَشّ) و (نَسَف)[3] : حربهـا وخراجها ، وكانـت (خُزار)[4] منيعـة حصينة ، فبعث المُسَرْبَل بن الخِرِّيت النّـاجي ، وكان صديقـاً لملكها الذي يدعى : سُبُغْري ، فأخبر الملكَ بما صنع الحَرَشِيّ بأهل (خُجَنْدَة) وخوّفه ، فقال الملك : « فمـا تَرى ! » ، قال : « أن تنزل بأمان » ، قال : « فما أصنع بمَن لحق بي ؟ ! » ، قـال : « تجعلهم في أمانـك » ، فآمنوه وبلاده ، ورجع الحَرَشِيّ إلـى

---

(١) كش : قرية على ثلاثة فراسخ من جرجان ، انظـر معجـم البلدان (٧ / ٢٥٤) .

(٢) زرنج : مدينة هي قصبة سجستان ، انظر معجم البلـدان (٤ / ٣٨٥) .

(٣) نسف : مدينة كبيرة بين جيحون وسمرقند ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨ / ٢٨٦) .

(٤) خزار : موضع بقرب نسف .

خُراسان ومعه سُبُغْرى ، فقُتل سبغرى وصلب ومعه الأمان [١] .

ولا ينكر أنّ الترك والصُغد نقضوا العهود عدة مرات دون مسوغ، وكبّدوا الدولة الإسلاميّة خسائر فادحة في الأرواح والأموال والجهد، ومنعوا ما عليهم من خراج وجزْية ، ولكنّ ذلك لا يسوّغ غدر الحَرَشي بمن أعطاهم الأمان ، ولا أن ينكث بالعهود والمواثيق التي قطعها على نفسه ، لأنّ من أوّل نتائج الغدر زعزعة الثقة بين الحكّام والمحكومين ، إضافة الى أنّ الغدر يناقض تعاليم الإسلام في القتال .

ولكن ، لعلّ له عذراً فيما فعل ، وسيرد تفصيل ذلك في سيرته إنساناً وقائدا .

٢ ــ في ميدان إرمينية :

في سنة اثنتي عشرة ومئة الهجرية (٧٣٠ م) قُتِل الجرّاحُ بن عبد الله الحَكَمِيّ في (إرمينية) .

ولما بلغ هشام بن عبد الملك خبر استشهاد الجرّاح بن عبد الله الحَكَمِيّ ، دعا سعيداً الحَرَشِيّ ، فقال له : « بلغني أنّ الجرّاح قد انحاز عن المشركين ! » ، قال . « كلاّ يا أمير المؤمنين ! الجرّاح أعرف بالله من أن ينهزم ، ولكنه قُتِل » . قال : « فما رأيك ؟ » ، قال : « تبعثني على أربعين دابّة من دوابّ البريد ، ثمّ تبعث إليّ كلّ يوم أربعين رجلاً ، ثمّ اكتبْ الى أمراء الأجناد يوافوني » ، ففعل ذلك هشام[٢] ، وولاّه مقدمة مَسْلمة بن عبد

(١) انظر التفاصيل في : الطبري (٧ / ١٢) وابن الاثير (٥ / ١٠٧ ــ ١١٠) .

(٢) ابن الأثير (٥ / ١٥٩ ــ ١٦٠) وانظر الطبري (٧ / ٧٠) وتاريخ خليفة بن خياط (٢ / ٣٦٥) .

الملك الذي استعمله على إرمينية وأَذْربيجان[1] .

وسار الحَرَشِيّ ، فكان لا يمرّ بمدينة إلاّ ويستنهض أهلها ، فيجيبه مَنْ يريد الجهاد .

ووصل الى مدينة (أَرْزَن)[2] ، فلقيه جماعة من أصحاب الجرّاح وبكوا وبكى لبكائهم ، ففرّق بينهم نفقة وردّهم معه .

ووصل على رأس المقدمة الى (خِلاط)[3] : وهي ممتنعة عليه، فحصرها وفتحها وقسم غنائمها في أصحابه .

وسار عن (خِلاط) ، وفتح الحصون والقِلاع شيئاً بعد شيءٍ ، الى أن وصل الى (بَرْذَعَة)[4] ، فنزلها .

وكان ابن خاقان يومئذ بأذربيجان يُغير وينهب ويسبي ويقتل وهو محاصر مدينة (وَرْثَان)[5] ، فخاف الحَرَشِيّ أن يملكها ، فأرسل بعض أصحابه الى أهل (وَرْثَان) سرّاً يعرّفهم بوصوله ويأمرهم بالصبر،فسار الرسول ، ولقيه بعض الخَزَر، فأخذوهوسألوه عن حاله ، فأخبرهم وصدقهم . وقال الخَزَر له : إن فعلتَ ما نأمرك

---

(١) فتوح البلدان (٢٩٠) .

(٢) ارزن : مدينة مشهورة قرب خلاط ولها قلعة حصينة ،انظر التفاصيل في معجم البلدان (١ / ١٩٠ - ١٩١) .

(٣) خلاط : مدينة مشهورة ، وهي قصبة ارمينية الرابعة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣ / ٤٥٣) .

(٤) برذعة : مدينة كبيرة جدا في إرمينية ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢ / ١١٩ - ١٢٢) .

(٥) ورثان : بلد هو آخر حدود أذربيجان ، بينه وبين وادي نهر (الرس) فرسخان ، وبين ورثان وبيلقان سبعة فراسخ ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨ / ٤١٣ - ٤١٤) .

به أحسنّا إليك وأطلقناك ، وإلاّ قتلناك . قال :«فما الذي تريدون؟!»»، قالوا : تقول لأهل (وَرْثَان) إنكم ليس لكم مدد ، ولا مَنْ يكشف ما بكم ، وتأمرهم بتسليم البلد الينا ... فأجابهم الى ذلك .

وقارب الرجلُ المسلم المدينةَ ، فوقف بحيث يسمع أهلها كلامه، والخَزَر يترصدونه ويسمعون كلامه ، فقال لأهل (وَرْثَان) : « أتعرفوني ؟ » ، قالوا : نعم ، أنت فلان ! قال : «فإنّ الحَرَشيّ قد وصل الى مكان كذا في عساكر كثيرة ، وهو يأمركم بحفظ البلد والصّبر ، وفي هذين اليومين يصل إليكم » ، فرفعوا أصواتهم بالتكبير والتهليل .

وقتلت الخَزَر ذلك الرّجل ، ثم رحلوا عن مدينة (وَرْثَان)، فوصلها الحرشيّ في العساكر وليس عندها أحد .

وارتحل الحَرَشِيّ يطلب الخَزَر الى (أَرْدَبِيل)[1]،فسار الخزر عنها .

ونزل الحَرَشِيّ (باجَرْوَان)[2] ، فجاءه مَن يخبره بأنّ الخزر في عشرة آلاف ومعهم خمسة آلاف من أهل بيت من المسلمين أُسارى أوسبايا ، وقد نزلوا على بُعْد أربعة فراسخ من مكانه الذي هو فيه .

---

(١) اردبيل : من اشهر مدن اذربيجان ، وكانت قبل الفتح الاسلامي قصبة اذربيجان ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١ / ١٨٢ — ١٨٤) .

(٢) باجروان : مدينة من نواحي (باب الابواب) قرب مدينة (شروان) ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢ / ٢٤) .

وسار الحَرَشيّ ليلاً ، فوافاهم آخر الليل وهم نيام ، ففرّق أصحابه في أربع جهات ، وكبس الخزرَ مع الفجر ، فوضع المسلمون فيهم السّيفَ ، فما بزغت الشمس حتى أبادهم المسلمون . وأطلق الحَرَشيّ مَن كان مع الخزر من المسلمين ، وأخذهم معه الى (باجَرْوان) .

ولم يكد يستقرّ به المقام في (باجَرْوَان) إلاّ وأتاه مَن يخبره بأنّ الخزر ومعهم أموال المسلمين وحُرَم الجرّاح وأولاده في مكان قريب .

وأسرع الحَرَشيّ الى هدفه الجديد ، فلم يشعر الخزر إلاّ والمسلمون معهم ، فوضعوا فيهم السّيف وقتّلوا كيف شاءوا ، ولم يفلت من الخزَر إلاّ الشّريد ، واستنقذوا مَنْ معهم من المسلمين والمسلمات ، وغنموا أموالهم ، وأخذوا أولاد الجرّاح وحُرَمه وأكرموهم وأحسنوا إليهم ، وحملوا الجميع الى (باجَرْوان) .

وبلغ ما فعله الحَرَشيّ بعساكر الخزَر ابنَ ملكهم ، فوبّخ عساكره وذمّهم ونسبهم الى العجز والوَهَن ، فحرّض بعضهم بعضاً ، وأشاروا عليه بجمع أصحابه والعود الى قتال المسلمين .

وجمع ابن ملك الخزر أصحابه من نواحي أذربيجان ، فاجتمع معه عساكر كثيرة .

وسار الحَرَشي الى جموع الخزر ، فالتقى المسلمون بالخزر

في أرض (بَرْزَنْد)[1] ، فنشب القتال بين الجانبين بشدّة وعنف . وانحاز المسلمون وقتاً يسيراً ، وتصدّعت أركان صفوفهم ، ولكنّ الحَرَشِيّ حرّضهم وأمرهم بالصبر ، فعادوا الى القتال وصدقوهم الحملة .

واستغاث مَنْ مع الخَزَر من أسارى المسلمين ، ونادوا بالتكبير والتهليل والدّعاء ، فتصاعد استقتال المسلمين ، ولم يبق أحد إلاّ وبكى رحمة للأسرى .

واشتدّت حملة المسلمين على الخَزَر ، فولّوا الأدبار منهزمين ، فطاردهم المسلمون حتى بلغوا بهم نهر (الرَّسّ)[2] ، ثم عادوا عنهم بعد أن أطلقوا أسرى المسلمين وسباياهم ، وغنموا أموال الخزر ، ورجعوا الى (باجَرْوان) .

وجمع ابن ملك الخزر مَن لحق به من عساكره ، وعاد بهم الى الحَرَشِيّ ، فنزل على نهر (البَيْلَقان)[3] ، فالتقوا هناك .

وحمل المسلمون على الخزر حملة صادقة ، في منطقة نهر (البَيْلقَان) ، فتضعضعت صفوف الخزر . وتتابعت حملات المسلمين ، فصَبَر الخزر صبراً عظيماً ، ثم كانت الهزيمة عليهم ، فولّوا

---

(١) برزند : بلدة من نواحي تفليس من أعمال جرزان من إرمينية الاولى ، بينها وبين اردبيل خمسة عشر فرسخا ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢ / ١٢٤) .

(٢) نهر الرس : نهر مخرجه من قاليقلا ويمر بازان ثم يمر بورثان ثم يمر بالمجمع فيجتمع هو ونهر الكر وبينهما مدينة البيلقان ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤ / ٢٥٠ – ٢٥١) .

(٣) البيلقان : مدينة قرب (باب الابواب) تعد من إرمينيةالاولى قريبة من شروان ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢ / ٣٤٠ – ٣٤١) .

الأدبار منهزمين ، وكان مَن غرق منهم في النهر أكثر ممن قُتِل .

وجمع الحَرَشِيّ الغنائم ، وعاد الى (باجَرْوَان) فقسمها[١] .

وقدم مَسْلَمَة بن عبد الملك إرمينية ، والخزر قد انسحبوا الى (مِيْمَذ)[٢] ، والحَرَشي يتهيّأ لقتالهم ، فأتاه كتاب مَسْلَمَة يلومه على قتاله الخزر قبل قدومه ، ويعلمه أنه قد عزله وولّى قيادة عسكره غيره . وسلّم سعيدُ الحَرَشِيّ القيادةَ ، فأخذه رسول مَسْلَمَة وقيّده وحبسه في سجن (بَرْذَعَة) ، وكتب مَسْلَمَة الى هشام بن عبد الملك في (دمشق) بما حدث ، فكتب هشام الى مَسْلَمَة :

أتتركهم بمِيْمَذَ قد تراهم وتطلبهم بمنقطع التراب ! !

وأمر هشام بإطلاق سراح سعيد الحَرَشِيّ من السجن[٣] ،فعاد الى دمشق[٤] .

لقد كان واجب الحَرَشِيّ في هذه الغزوة واضحاً جليّاً :استنقاذ أسرى المسلمين وسباياهم ، واستعادة فتح المناطق التي احتلّها الخزر بعد استشهاد الجرّاح بن عبد الله الحَكَمِيّ[٥] ، وتلقين الخزر درساً لا ينسونه أبداً لنقضهم العهد وأسر كثير من المسلمين وسبي ذرّيتهم وقتل كثير منهم .

---

(١) ابن الأثير (٥ / ١٥٩ ـ ١٦٢) .
(٢) ميمذ : مدينة بأران في إرمينية الاولى ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨ / ٢٢٧) .
(٣) فتوح البلدان (٢٩٠) .
(٤) ابن الأثير (٥ / ١٦٢) .
(٥) ابن الاثير (٥ / ١٦٢) .

وكان الحَرَشي موفقاً غاية التوفيق في أداء واجبه على أحسن وجه ، فانطلق على دواب البريد ــ وهي أسرع واسطة للنقل في حينه ــ بسرعة خاطفة ، واستهدف إنقاذ أسرى المسلمين وسباياهم أولاً ، فكان يستنقذهم بالقتال فوراً بعد معرفة أماكنهم ، ومع ذلك لم يقصّر في استعادة فتح المناطق المحتلّة من الخزر ، وتلقينهم دروساً قاسية في القتال كبّدتهم خسائر فادحة في الأموال والأنفس والمعنويات ،وألحقت بهم هزائم شنيعة .

فما كان ينبغي لمَسْلَمة أن يلوم الحَرَشي ويقيّده ويحبسه ويعزله عن قيادته لأنه قاتل الخزر قبل قدومه ، فواجب الحَرَشي أن يستنقذ الأسرى والسبايا بسرعة قبل أن يُقضى عليهم وينقذهم من الذل والهوان الذي لم يعتده المسلمون وقتذاك ، ويعيدهم الى دار الإسلام أحرارا ، وكان ينبغي لمسلمة أن يشكر الحَرَشي كما فعل هشام .

ومثل هذا الواجب ، يقتضي السرعة الخاطفة والاندفاع الجريء ، لا التريث والانتظار .

لقد كانت هذه الغزوة من أروع أعمال الحَرَشي القتاليّة ، فقد جاء إرمينية والمسلمون فيها أسرى وسبايا ، فأعاد اليهم حريتهم وكرامتهم . وجاءها وهي تحت سيطرة الخزر ، فاستعاد فتحها ، وكان الميزان العسكري الى جانب أعداء المسلمين ، فجعل هذا الميزان الى جانب المسلمين ، وكان الخزر هم الذين يقتلون المسلمين ويأسرونهم ، فأصبح المسلمون هم الذين يقتلون الخزر ويأسرونهم ، وكان المسلمون يخافون الخزر ، فأصبح الخزر يخافون المسلمين ، وكانت مدن المسلمين محتلّة أو محاصَرة ، فأصبحت مدن الخزر مفتوحة أو محاصَرَة .

لقد قلب الحَرَشي خلال وقتٍ قصير جداً الموازين رأساً على عقب في إرمينية لصالح المسلمين .

رابعاً : الإنسان

كتبَ عمرُ بن هُبَيْرَة الذي كان على العراق الى يزيد بن عبد الملك ، بأسماء مَنْ أبلى يوم (العَقْر) ولم يذكر سعيداً الحَرَشيّ ، فقال يزيد : « لِمَ لم يذكر الحرشيّ ؟ ! » ، فكتب الى ابن هُبَيْرَة : « وَلِّ الحَرَشيَّ خُراسان » ، فولاّه[1] .

وكان موقف الحَرَشيّ قبل يوم (العَقْر) قائداً مرؤوساً ، وفي أثناء المعركة موقفاً بطولياً مشهودا ، لم يخف على الخليفة يزيد بن عبد الملك وهو في عاصمته دمشق ، ولا يمكن أن يخفى على أحد من الحكّام والمحكومين ومنهم ابن هُبَيْرَة ، ولكنه لم يذكر اسمه في قائمة الشرف لعداوة ابن هُبَيْرة إياه ، فلما قرأ يزيد أسماء أصحاب البلاء تساءل : « أين الحَرَشيّ ؟ ! » . فوالله ما كان الفتح إلاّ على يديه ، وما قتل المرتدين غيره » ، ويريد بالمرتدين الذين ثاروا على الدولة بقيادة يزيد بن المُهَلَّب ، فكتب الى ابن هُبَيْرَة : « أن ولِّه خُراسان » ، فولاه ثغرها ، وذلك في سنة ثلاث ومئة الهجرية[2] .

وكان الحَرَشيّ عند حسن ظنّ يزيد بن عبد الملك به ، فقد أعاد الأمن الى ربوع خُراسان ، وقتل الذين نقضوا عن آخرهم وسبى ذراريهم[3] .

فلماذا كان ابن هُبَيْرة يناصب الحَرَشيّ العداءَ ؟

لقد بنى الحَرَشيّ سمعته الطيّبة على كفاياته الشخصيّة لاعلى

---

(١) الطبري (٦ / ٦٢٠) وابن الاثير (٥ / ١٠٣) .

(٢) تهذيب ابن عساكر (٦ / ١٦٤ ـ ١٦٥) .

(٣) تاريخ خليفة بن خياط (١ / ٣٣٦) .

حسبه ونسبه ، فقد كان في أول أيامه فقيراً مُعْدِماً[1] ، وإنما تقدّم بإخلاصه وشجاعته ودينه[2] ، فكان يعمل بإبداعه الذاتي ، خضوعاً للمصلحة العامة دون أن ينتظر توجيهات السلطة التي يرتبط بها وينفّذ أوامرها ملتزماً بتلك التوجيهات والأوامر التزاماً صارماً ، فقد لا تصله توجيهات السلطة التي يرتبط بها مباشرة ، أو قد تأتي متأخّرة فيذهب نفعها وتفقد أهميتها ، مما يلحق الضرر بالمصلحة العامة دون مسوّغ .

كما أنه (يرى) الأحداث بعينيه ، فهو (حاضر) في جوّ الأحداث، بينما السلطة التي يرتبط بها مباشرة (تسمع) عن تلك الأحداث بأذنيها، فهي (غائبة) عن جوّ الأحداث ، وليس مَنْ (رأى) كمن (سمع) ، والحاضر يرى ما لا يراه الغائب .

والولاة والقادة صنفان في كلّ زمان ومكان : صنف (متّبع) ينتظر الأوامر فينفّذها حرفياً والتوجيهات فيطبّقها نصّاً ، وأغلب هذا الصّنف تنقصه الكفاية أولا يحبّ تحمّل المسئولية ولا يثق بنفسه ثقة كاملة ، فهو موظّف حسب . وصنف (مُبْتدع) لا ينتظر الأوامر والتوجيهات ، لأنه أعرف بالموقف الراهن من غيره ، وأغلب هذا الصنف يتميّز بالكفاية العالية ، ويحبّ تحمل المسؤوليّة ، ويثق بنفسه ثقة كاملة .

والصنف الأول يريح صاحب السّلطان ويستريح إليه في أوقات الدّعة والاطمئنان ، ولكنه يتملّص من كلّ مسؤولية في أوقات الخطر والملمات .

والصنف الثاني لا يستريح اليه صاحب السّلطان في أوقات الدّعة والهدوء ، ولكنه يلجأ إليه في أوقات الحروب والمدلهمّات .

وقد كان الحَرَشي من الصنف الثاني ، لذلك أثبت وجوده في

(١) تهذيب ابن عساكر (٦ / ١٦٤) .
(٢) ابن الأثير (٥ / ١٠٨) .

أيام الشدة والمصائب ، وغاب عن الأنظار في أيام اللهو واللعب ، وربما قضى ردحاً غير قليل من تلك الأيام في غياهب السجون .

والدليل على بغض ابن هُبَيْرَة للحَرَشي ، أنه بادر بعزله عن (خُراسان) سنة أربع ومئة الهجرية (٧٢٢ م) ، بعد أن استقرت أمور ابن هُبيرة في العراق من جهة ، وبعد أن أعاد الحَرَشي الأمن والسلام الى (خُراسان) واستعاد فتحها من جديد .

وكان السبب في عزل الحَرَشي عن (خُراسان) بعد أن مكث فيها سنة أو بعض سنة في حرب دامية متنقلاً في الجبال والوهاد ، معرضاً نفسه لأعظم الأخطار ، لا يُريح ولا يستريح ولا ينام ولا يُنيم، فلما انتصر على الأعداء ووطد أكناف البلاد ، وآن له أن يستريح قليلاً ويأخذ لنفسه إغفاءة قصيرة ، عزله ابن هُبَيْرة ليغلق نافذة يأتيه الريح المزعج من منافذها ، ليولي رجلاً يريحه ولا يزعجه ويطيعه ولا يعصيه .

وكان السبب في عزله ، ما كان كتبه ابن هُبَيْرة الى الحَرَشي بإطلاق سراح أحد قادة الصُغد الذي يدعى (ديوشتى) ، فقتله ولم ينفذ أمر ابن هُبَيْرَة . كما كان يستخف بابن هُبَيْرَة ويذكره بأبي المُثَنّى ولا يقول الأمير ، فيقول : قال أبو المثنى ، وفعل أبو المثنى ، فبلغ ذلك ابن هُبَيْرَة ، فأرسل إليه جميل بن عِمْران ليعلم حال الحَرَشي ، وأظهر أنه ينظر في الدواوين ، فلما قَدِم جميلٌ على الحَرَشي قال : « كيف أبو المثنى ؟ » ، فقيل له : إنَّ جميلاً لم يَقْدِم إلا ليعلم علمك ! ومرض جميل مرضاً شديداً وسقط شعرُه[1] . وعولج جميل حتى تماثل للشفاء ، فغادر (خُراسان)

(١) قيل : ان الحرشي بعث لجميل بطيخة مسمومة ، فأكلها ومرض وسقط شعره ، انظر ابن الاثير (٥ / ١١٥) ، ولا يمكن ان نصدق هذه التهمة ، فقد كان الحرشي متدينا ، لا يقدم على مثل هذا الامر وهو ارفع من ذلك .

عائداً الى ابن هُبَيْرة في العراق ، فقال لابن هُبَيْرَة : « الأمر أعظم مما بلغك ... ما يرى الحَرَشِيّ إلاّ أنك عامل له » ، فغضب وعزله ونفَح في بطنه النمل[1] وعذّبه[2] .

ومن أسباب عزله ، أنّ ابن هُبَيْرَة وجّه مَعْقِل بن عُرْوَة الى (هَرَاة)[3] إما عاملاً وإمـا في غير ذلك من أموره ، فنزل قبل أن يمرّ على الحَرَشِيّ . وكتب الحرشيّ الى عامله على (هَرَاة)يأمره أن يحمل مَعْقِلاً اليه ، فقال له الحَرَشِيّ : « ما منعك من إتيانـي قبل أن تأتيَ هَرَاة ؟ » ، فقال : « أنا عامل لابن هُبَيْرَة ، ولاّني كما ولاّك » ، فضربه مئتي جلده وحلّقه[4] . وكتبَ ابن هُبَيْرة الـى الحَرَشِيّ يُلَخّنه ، فقال : « بل هو ابن اللّخناء »[5] .

ولا شكّ في أنّ للحَرَشِيّ أسبابه الوجيهة التي جعلته يقف مثل هذه المواقف من ابن هُبيرة ، فلم يكن الرجل غِرّاً ولا متّهماً في عقله، ليقف مثل هذه المواقف الجريئة دون مسوّغ .

وقد سكت المؤرخون عن أسـباب الحَرَشِيّ ، ولكن يستطيع كلّ مَنْ يدرس شخصيته ان يبوح بتلك الأسباب .

---

(١) النمل هنا : بثور صغار مع ورم صغير .

(٢) الطبري (٧ / ١٥ ــ ١٧) وابن الاثير (٥ / ١١٥) .

(٣) هراة : مدينة عظيمة مشهورة من أمهـات مدن خراسان ، أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٨ / ٤٥١ ــ ٤٥٢) ، وهي من اهم مدن أفغانستان حاليا .

(٤) حلقه : وسمه بحلقة في فخذه .

(٥) الطبري (٧ / ١٦) .

ويبدو أنّ الحَرَشِيّ قتل أحد قادة الصُّغد بعــد أن أكرمــه وأحسن وفادته ، لأنه اكتشف أن هذا القائد الصُّغديّ قد لوّث يديه بدماء المسلمين واعتدى على حرماتهم ، ومن المعروف أنّ الحَرَشيّ أجرى تحقيقاً شاملاً دقيقــاً لمعرفة الذين اعتدوا على أرواح المسلمين وأعراضهم ، فنال المجرمون من الصُّغد ما يستحقّونــه من عقاب .

ومن المحتمل أن يكون هذا القائدالصُّغديّ أحدأولئكالمجرمين، فقتله الحرشيّ مجرماً لا سياسيًا أو أسيرا .

أما أنّ الحرَشيّ يذكر ابــن هُبَيْرَة بأبي المُثنــى ولا يقول الأمير ، فهو يرى نفسه نــداً لابن هُبَيْرة ، فقد ولاّه الخليفة علــى خُراسان ولم يوله ابن هُبَيْرة ، ونال هــذا المنصب بجهده وعرقــه وجهاده لا بوسائل أخرى .

أما عقاب الحَرَشِيّ لمَعْقِل فكان شديداً حقــاً ، ولكن لــم يكن هذا العقاب بلا مسوّغ . وبخاصة أنّ القلاقــل والفتــن في خُراسان ، كانت تتطلّب استعادة هيبة الحكم فيها قويــاً مُهَابا ، ولا يتمّ ذلك إلاّ بفرض السيطرة الكاملة .

وأحسب أنّ الحَرَشِيّ كان منطقياً مع نفسه حصيفاً غير متهوّر، وكانت له أسبابه المنطقية في مخالفاته ، ولكنّ السلطات العليا لا ترضى من السلطات المرؤوسة غير الطّاعة العمياء التيكان الحَرَشِيّ يعتبرها نوعــاً من النفاق والاستخذاء .

وقد كان لسلفه على خُراسان عمال اختارهم ليعاونوه في تحمــل أعباء مهمّته ، فلما قدم الحرشيّ خُراسان لم يعرض لعمّالسلفه[1] ،

---

(١) ابن الأثير (٥ / ١٠٣) .

بل تركهم على ما كانوا عليه ، مما يـدلّ على أنه لم يأت منتقماً ولا كان من الذين يعملون لمصلحتهم الذاتية ، بل كان رجل دولة يعمل للمصلحة العامة وحدهـا .

وقد سجن الحَرَشِيّ وعُذِّب عذاباً أليمـا ، وتولى أمر تعذيبه حتى الموت مَعْقِل بن عُرْوة الذي كـان الحَرَشِيّ قد سجنه في خُراسان وضربه مئتي سوط كما ذكرنا ، فقد أمـر ابن هبيـرة عامله الجديد على خُراسان أن يحمل اليه الحَرَشِيّ مع مَعْقِل بن عُرْوة ، فأساء معقل بالحرشيّ وضيّق عليه . وفي يوم من الأيام أمر ابن هبيرة معقِلاً أن يعذِّب الحَرَشيّ ويقتله بالعذاب الأليم . وجاء المسـاء ، فسمر ابن هُبَيْرَة مع الصّفوة مـن خلاّنه ومحاسيبـه ، فقـال : « مَنْ سيِّد قيس ؟ » ، فقالوا : الأمير . قال : « دعوا هذا ! سيِّد قيس الكوثَر بن زُفَر ، لو بَوَّقَ بليلٍ لوافاه عشرون ألفاً لا يسألونه : لِمَ دعوتنـا . وهـذا الحمـار الـذي في الحبـس - يـريـد الحَرَشِيّ - قد أمرتُ بقتله فارسُها ، وأما خير قيس لهـا ، فعسى أن أكونه . إنه لم يعرض اليَّ أمـرٌ أرى اني اقدر فيه على منفعـة وخير إلاّ جررته اليهم » ، فقال أعرابيّ من فَزارة : « ما أنتَ كمـا تقول ! لو كنتَ كذلك ما أمرتَ بقتل فارسها » ، فأرسل ابن هُبيـرة الى معقِل : « أن كُفّ عمّـا كنتُ أمرتك به[1] » .

ودار الزّمن دورته ، فمات يزيد بن عبد الملك وتولىّ هشام بن عبد الملك سنة خمس ومئة الهجرية (٧٢٣ م) ، فعـزل هشـامُ ابن هُبَيْرَة عن العراق واستعمل خالد بن عبد الله القَسْريّ[2] ، فبادر خالد بعد وصوله الى العراق بإطلاق سراح الحَرَشِيّ من السجن بعد

---

(١) الطبري (٧ / ١٦) وابن الاثير (٥ / ١١٥ - ١١٦) .
(٢) الطبري (٧ / ٢٦) وابن الاثير (٥ / ١٢٤) .

أن مكث فيه سنة وشهورا ... وهرب ابن هُبَيْرة من العراق لا يلوي على شيء يريد النجاة بنفسه شريداً طريداً متخفياً ، فأرسل خالد في طلبه الحَرَشي ، فلحقه بموضع من الفرات يقطعه الى الجانب الآخر في سفينة ، وكان في صدر السفينة غلام يُقال له : قُبَيْض . وعرف الحَرَشي ذلك الغلامَ ، فقال له : « قُبَيْض ؟ » ، قال : « نعم ! » ، فقال : « أفي السفينة أبو المثنّى ؟ ! » ، قال : « نعم » . وخرج اليه ابن هُبَيْرة فقال له الحَرَشي : « أبا المثنّى ! ما ظنّك بي ؟ ! » ، قال : « ظني بك أنك لا تدفع رجلاً من قومك الى رجل من قريش ! » ، قال : « هو ذاك » ، قال : « النّجاء »[1] ، وهذا دليل آخر على أنّ الحَرَشي غير منتقم ولا حاقد ، ولو أنه دليل على عصبيّة الحرشي القبلية ، وكان تصرّف الحرشي تصرف الذي يعفو عن مقدرة لا عن ضعف .

وكما كان ابن هُبَيْرة يكره الحَرَشي لأنه كان (مبتدعاً) لا (متّبعاً) ، فقد كان مَسْلمة بن عبد الملك يكره الحرشي للسبب عينه[2] . فقد اندفع الحَرَشي في قيادة خيل مسلمة وصدّ مقدّمة يزيد بن المهلّب دون استشارة مسلمة والرجوع اليه ، كما برز بروزاً هائلاً في معركة (العَقْر) فلفت اليه الأنظار .

وكما طبّق الحَرَشي في معركة (العَقْر) ما أملاه عليه الموقف العسكري الرّاهن ، طبّق في غزوة إرمينيّة حين كان على مقدمة

---

(١) الطبري (٧ / ١٧) وابن الاثير (٥ / ١١٦) ، وابن هبيرة والحرشي من قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، انظر نسب ابن هبيرة في : جمهرة أنساب العرب (٢٥٥) .

(٢) تهذيب ابن عساكر (٧ / ١٦٤) .

مَسْلَمَة الأسلوب الذي طبقه في معـركة (العَقْر) ، فلامه مَسلمة على قتاله الخَزَر قبل قدومه ، وعزله عن قيادتـه وقَيَّده وسجنه في سجن (بَرْذَعة) ، فأنّب هشامُ بن عبد الملك مسلمةَ على ما فعـل في حبس الحَرَشي والتخلي عن تنفيذ خطّته في قتال الخزر ، وأمر بأطلاق سراحة[1] .

وهكذا يكون جزاء (المبتدع) ، ليس بالنسبة للحَرَشي ، بل لكل من يبتدع ولا يتّبع : الحقد والتنكيل بالمبتـدع ، والسّـلامة والمستقبل للمتّبع .

وهذه القاعدة تسري على (المبتدع) و (المتّبع) في كلّ زمان ومكان ، الغُرم دومـاً للمبتدع . والغُنم دوماً للمتّبع ، وقلّما يُفلح (المبتدع) إلا اذا تولى المبتدع السّلطات العليا وكان غيـر مسؤول أمام أحد ، وقلّما يخفق (المتّبع) اذا عمل بالأمرة في الظل ولم يتولّ السّلطات العليا .

وهنا أرى أن نتوقّف قليلاً ، لإنصاف الحَرَشي من اتهامه بأنه نقض العهـد في حرب الصُّغد وحـرب الخزر ، فقتـل أشخاصاً أو جماعات بعد أن أعطاهم الأمان .

وقد كان الحرشي معروفاً بتدينه[2] ، كما كان معروفاً برأيـه السديد[3]،وقد علم أن رجلاً من (الصُّغْد) قتل امرأة من نساءٍ كُنّ في أيديهم ودفنها تحت حائط ، فقتل الحرشي القاتل بجريمته ، وقتـل أحد قادة الصُّغد الذي اعترض الناس فقتل ناسـاً ، وكان في أيـدي

---

(١) فتوح البلدان (٢٩٠) .
(٢) ابن الاثير (٥ / ١٠٤) و (٥ / ١٠٨) .
(٣) الطبري (٧ / ٨) .

الصُّغد أسراء من المسلمين ، فقتلوا منهم خمسين ومئة ، ويقال : قتلوا منهم أربعين ، فأمر الحرشيّ بقتل المجرمين[١] .

وأثّر قصاص الحَرَشيّ في الخارجين على الدولة من أهل خُراسان بعامة وفي الصُّغد وهم رأس الفتنة بخاصة ، فقال الرّاجز :

إذا سَعيدٌ سار في الأخماس
في رَهَج يأخذ بالانفاس
دارت على التُرْكِ أمرّ الكاسِ
وطارت التُركُ على الأحلاس
ولّوا فِراراً عُطّل القياس[٢]

لقد قدم الحَرَشيّ خُراسان فكان المسلمون بإزاء العدو ، وكانوا قد نُكبوا[٣] ، وكان كثير من المسلمين أسرى وكثير من نسائهم سبايا ، فأعاد الأمن والنظام خلال اشهر معدودات الى ربوع خُراسان ، وعادت للدولة هيبتها وللسُلطة مركزها ، ولامراء في أنّ من أهم أسباب استعادته الأمن والاستقرار بعد الخوف والفوضى يعود الى أخذ المسيء وإنزال العقاب به ، فكان القصاص الذي نزل بأفراد وجماعات من الصُّغد باعتبارهم مجرمي حرب ، عُوقبوا على ما جنت أيديهم من جرائم ، والعهد والأمان الذي قطعه الحَرَشيّ على نفسه لهم أفراداً وجماعات هو على جريمة انتقاضهم على الدولة وحملهم السّلاح عليها ، لا على الجرائم التي ارتكبوها في أيام انتقاضهم قتلاً للمسلمين وانتهاكاً لحرماتهم .

---

(١) الطبري (٧ / ٩ — ١٠) .
(٢) الطبري (٧ / ١٢) .
(٣) ابن الاثير (٥ / ١٠٣) .

وما يقال عن التزام الحَرَشي بالضبط المتين ومعاقبة مجرمي الحرب في حرب الصُّغد ، يقال عنه أيضاً في حرب الخَزَر ، فقد نفّذ العهود والمواثيق بالنسبة لغير المجرمين ، اما المجرمون فلم يسكت عنهم وأنزل بهم القصاص العادل كمجرمين لا كمعاهدين .

تولى (البَصْرَة) شهوراً من سنة ثلاث ومئة الهجرية[1] (٧٢١ م) لابن هُبَيْرَة ، ثم تولى خُراسان في هذه السنة لابن هُبَيْرة أيضاً[2] ، وعزل عن خُراسان سنة أربع ومئة الهجريّة[3] (٧٢٢ م) ، وتولى إرمينية وكيلاً لمَسْلَمَة بن عبد الملك سنة اثنتي عشرة ومئة الهجرية (٧٣٠ م) ، وعُزل في هذه السنة .

وقد عمل بإمرة ابن هُبيرة في ولايته البصرة وخُراسان ، وبإمرة مَسْلَمَة بن عبد الملك في إرمينية ، وكان الأميران اللّذان عمل الحَرَشي بإمرتهما يبغضانه[4] ، لأنه كان (مبتدعاً) يعمل بوحي كفايته وخبرته ، ولا يستوحي ما يعمله من اللذين عمل بإمرتهما ، فكلّل الأميران جهود الحرشي المظفّرة بالحبس والتنكيل .

وأحسب أن الحَرَشي لم يخالف ابن هُبيرة ومَسْلَمَة لمجرّد رغبته في المخالفة حبّاً بإظهار نفسه وقوّته ، بل لأن عامل الوقت كان عاملاً حاسماً يقضي عليه بالمخالفة ، فلو أنه انتظر حتى يقدم مَسْلمة إرمينية لتبدّل الموقف العسكري لصالح الخزر ، كما أنه خالف ابن هُبَيْرة في قتل أحد رجالات الصُّغد ، لأنه ثبت عليه

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط (١ / ٣٤١) وانظر الطبري (١٧/٧) .
(٢) الطبري (٦ / ٦٢٠) و (٧ / ١٧) .
(٣) الطبري (٧ / ١٥) .
(٤) تهذيب ابن عساكر (٧ / ١٦٤) .

إجرامه بشكل لا يقبل الشك ، والحقّ أحقّ يتّبع ، وكل شيءٍ في سبيله يهون .

وقد علمنا أنّ الحَرَشيّ يتحلّى بالضبط المتين ، فحري بمثله ألاّ يخالف مرجعه الأعلى الذي يعمل بإمرته إلاّ لضرورة قصوى ، لأنه اذا أباح لنفسه مخالفة رئيسه ، فقد أتاح لغيره ان يخالفه ، فاذا شاع الخلاف عمّت الفوضى ، والحَرَشيّ ليس من دعاتها بل من أعدائها الأشدّاء .

ولعلّ ما يدلّ على مبلغ حرصه في توقير الذين يعمل بإمرتهم ، أنّ الحَرَشيّ حين قدم خُراسان واليا ، أمر أحد رجاله ان يقرأ عهده على الناس ، والعهد هنا المرسوم الذي كتبه عمر بن هُبَيْرة للحَرَشيّ في توليته على خراسان . وقرأ الرجل العهد فلحن فيه ، فقال الحَرَشيّ : « مهما سمعتم فهو من الكاتب ، والأمير بريء منه »[1] ، أي بريء مما تسمعون من هذا اللّحن[2] ، وهذا دليل على توقير الحَرَشيّ لأميره المباشر ، وأنه بعيد عن الاستهانة بالأمير الذي يعمل بإمرته المباشرة .

ولعلّ نقطة الضعف في الحَرَشيّ هي حبه الشديد للمال ، فالذي يبدو أنه كان يحب هذا المال حبّاً جمّاً ، فأوقعه هذا الحبّ في مآزق لا يمكن السكوت عنها أو نكرانها او محاولة الدفاع عنها ، فيما إذا صحّ أنه جمع المال لمصلحته الشخصيّة وثبت اتّهامه بذلك .

ففي معركة الصُّغد سنة أربع ومئة ، اصطفى أموال الصُّغد وذراريهم ، وأخذ منها ما أعجبه ، ثم دعا مُسْلِم بن بُدَيْل

---

(١) فتوح البلدان (٦٠١) وابن الاثير (٥ / ١٠٣) .
(٢) فتوح البلدان (٦٠١) .

العَدَوِيّ : عندي الرّباب ، فقال : « ولّيتك المقسم » ، فقال : « بعدما عمل فيه عسّالك ليلة ! ! ولله غيري ! » ؛ فولاه عُبَيْد الله بن زُهير بن حيّان العَدَوِيّ ، فأخرج الخُمْس ، وقسّم الأموال . وكتب الحَرَشِيّ الى يزيد بن عبد الملك ، ولم يكتب الى عمر بن هُبيرة ، فكان هذا مما وَجد فيه عليه عمر بن هبيرة[1] .

ولما حبس ابنُ هُبَيْرة الحَرَشِيّ اتهمه بالخيانة[2] في الأموال ، فلما عُذّب في السّجن أدّى[3] الذي عليه .

ولكنّ الحَرَشِيّ عُذّب عذاباً شديداً ، فقال كُليب بن أُذَيْنَة :

تصبَّرْ أبا يَحْيَى فقد كنتَ علمنا
صبوراً وتَهاضاً بثقل المغارم

وقد أمر ابنُ هُبَيْرة يوماً المشرفَ على تعذيب الحرشِيّ أن يعذّبه الى أن يقتله في العذاب[4] .

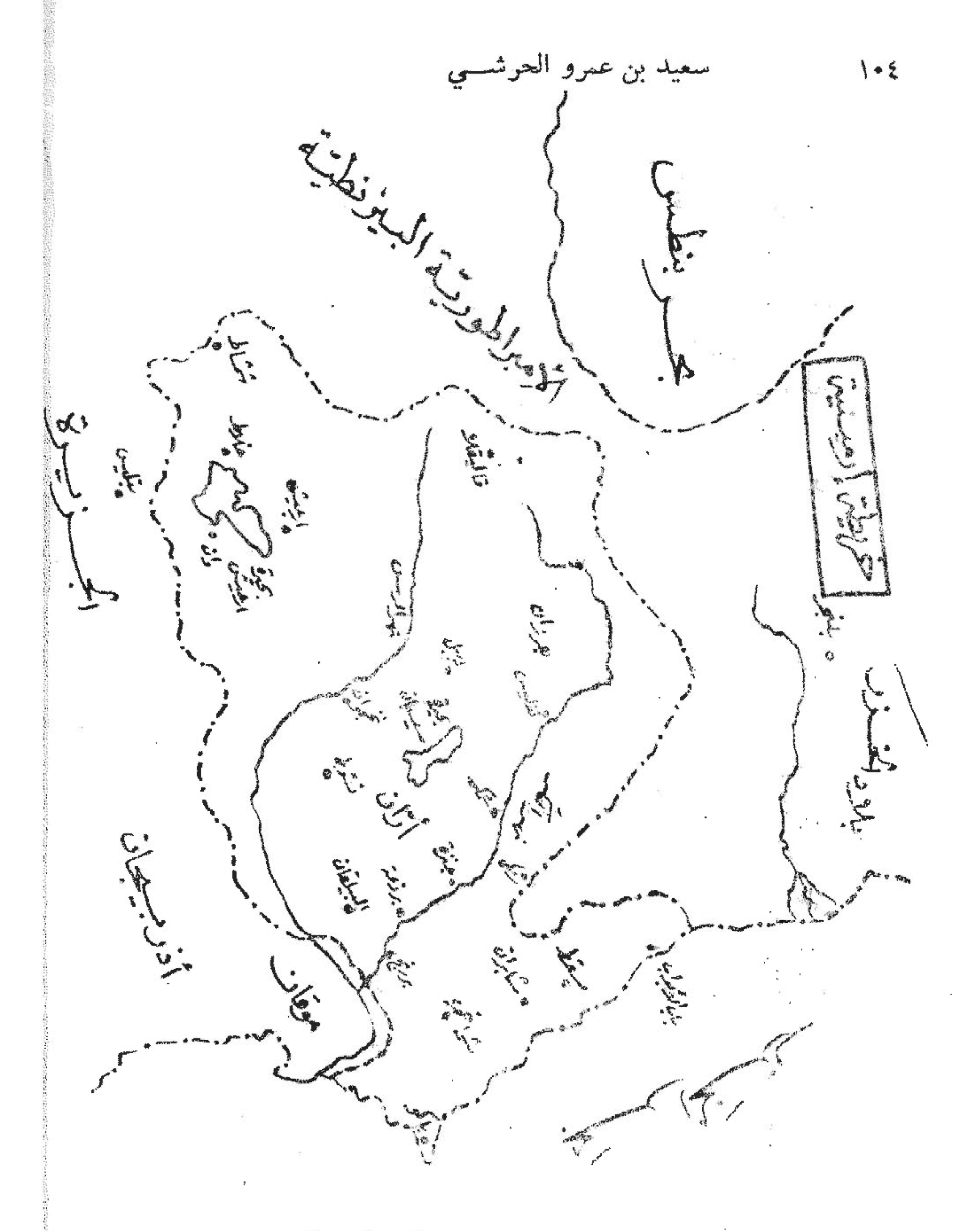
وأرى أنّ مجرّد اتّهام الحَرَشِيّ من ابن هُبَيْرة لا يكفي لتصديقه ، فقد كان ابن هُبيرة حاقداً أشدّ الحقد على الحرشِيّ وكان يبغضه بغضاً شديداً ، فلا يمكن أن نصدّق تهمة حاقد مبغض .

ولو أنّ الحرشِيّ خان في المال ، لما نال العطف الاجماعي على حبسه وتعذيبه ، ولما أطلق سراحه بعد ذلك ، وأصبح موضع ثقة الخليفة هشام بن عبد الملك ، فولاّه قيادة مقدمة مسلمة بن عبد الملك في إرمينية ، وكان يستشيره وينفّذ مشورته .

والظّاهر أنّ الحَرَشِيّ تألّف بعض سادات العرب وقادة خُراسان بالمال ، ليكونوا لـه عَوْناً في حربه وسلمه ، وليقطع دابر

---

(١) الطبري (٧ / ١٠) وابن الاثير (٥ / ١٠٩) .
(٢) الطبري (٧ / ١٦) .
(٣) الطبري (٧ / ١٦) .



ـ للبحث صلة ـ

الجزء الأول المجلد السادس والخمسون

مجلّة

مجمع اللغة العربية بدمشق

«مجلّة المجمع العلمي العربي سابقاً»



صفر الخير ١٤٠١ هـ
كانون الثاني ١٩٨١ م

فهرس الجزء الأول من المجلد السادس والخمسين

الصفحة | المقـــالات

النقـد والتعـريف

آراء وأنبـــاء

سَعيد بن عَمْرو الحَرَشِيّ(*)

فاتح شطر إرْمِيْنِيَة ثانية وشطر خراسان

اللواء الركن محمود شيت خطاب

والظاهر أنّ الحَرَشِيّ تألّف بعض سادات العرب وقادة خُراسان بالمال ، ليكونوا له عَوْناً في حربه وسلمه ، وليقطع دابر الشّغب على الدولة ، فعلم بذلك ابن هُبَيْرة ، وأرسل رجلين من رجاله إلى الحَرَشِيّ يأمره أن يدفع أولئك المنتفعين بالمال الحكوميّ إليهما ليستعيدا منهم ما في ذمّتهم من الأموال إلى بيت المال ، فأبى الحَرَشِيّ أن يفعل . ولما قَدِم خليفةُ الحَرَشِيّ الذي ولاه ابن هُبيرة خُراسان بعد عزل الحَرَشِيّ عن خُراسان ، أراد أخذ الناس بتلك الأموال التي فُرّقت عليهم ، فقيل له : إن فعلت هذا بهؤلاء لم يكن لك بخُراسان قرار ، وإن لم تعمل على وضع تلك الأموال عنهم فسدت عليك وعليهم خُراسان ، لأنّ هؤلاء الذين تريد أن تأخذهم بهذه الأموال أعيان البلد . وكتب والي خُراسان الذي خلف الحَرَشِيّ عليها وهو مُسْلِم بن سعيد بن أَسْلَم بن زُرْعَة الكِلابي بذلك إلى ابن هُبَيْرة ، وأوفد وفداً فيهم مِهْزَم بن جابر - أحد رجالات العرب في خُراسان ، فقال له : « أيّها الأمير ! إنّ الذي رُفع إليك الظلمُ والباطلُ ، ما علينا من هذا كلّه لو صدق إلاّ القليل الذي لو أُخذنا به أدّيناه » ، فقال ابن هُبَيْرَة : (إنّ الله يَأْمُرُكُمْ أنْ تؤدّوا الأمانات إلى أهلِها)[1] ، فقال مِهْزَم : « اقرأ ما بعدها : (وإذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أنْ تَحْكُمُوا بالعَدْل)[2] » ، فقال ابن هُبَيْرَة : « لابدّ من هذا المال » ، فقال مِهْزَم : « أما والله لئن أخذتَه لتأخذنّه من قوم شديدة شوكتهم ونكايتهم في عدوّك ، وليضرنّ ذلك بأهل خُراسان في عُدَّتهم وكُراعهم وحَلْقَتهم ،

☆ نشرت المجلة القسم الأول من هذا المقال في عددها الأول من المجلد السادس والخمسين .

(١) سورة النساء (٥٨) .

(٢) سورة النساء (٥٨) .

ونحن في ثغر نكابد فيه عدواً لا ينقضي حربهم . إنّ أحدنا ليلبس الحديد حتى يخلص صدؤه إلى جلده ، حتى إنّ الخادم التي تخدم الرجل لتصرف وجهها عن مولاها وعن الرجل الذي تخدمه لريح الحديد ، وأنتم في بلادكم متفضّلون في الرِّقاق وفي المُعَصْفَرة ، والذين قرفوا بهذا المال وجوه أهل خُراسان وأهل الولاياتِ والكلف العظام في المغازي ، وقِبَلنا قوم قَدِموا علينا من كلّ فجّ عميق ، فجاءوا على الحُمُرات ، فَوُلّوا الولايات ، فاقتطعوا الأموال ، فهي عندهم موفّرة جمّة »[٣]

ولا أرى دفاعاً عن الحَرَشِيّ أبلغ من هذا الدفاع الذي ذكره أحد رجاله لخلفه : وزّعت الأموال على المقاتلين الأشداء ، الذين لهم نفوذ على قومهم ، ليستعينوا بها في حرب مديدة ، لا تنقضي صفحة منها ، إلا لتبدأ صفحة جديدة .

ونعود إلى حكاية (المبتدع) و (المتّبع) ، فقد كان الحَرَشِيّ مبتدعاً في توزيع المال على المحاربين الأشداء من ذوي القوّة والمَنَعة والعشيرة ، دون أن يرجع إلى ابن هُبَيْرة ليعطي منْ يريد ما يريد ، بل اجتهد الحَرَشِيّ فأعطى المستحق للعطاء ، وهو الحاضر وابن هُبَيْرة الغائب ، وهو يرى وأميره يسمع ، فعمل الذي يقتضيه الحق وترتضيه المصلحة .

وربما أبقى الحَرَشِيّ شيئاً لنفسه من هذا المال ، تحسّباً للأيام السّود ، فلم يذكر المؤرخون أنه ترك بعد رحيله عن الدنيا داراً أودينارا ، فما خان الحَرَشِيّ في المال ، ولكنه فرّقه في المستحقّين .

وقد غضب ابن هُبَيْرة على الحَرَشِيّ ، وأمره بأن يجمعه ممن أخذه ، فأبى الحَرَشِيّ ، فحاول أن يجمعه خلفُه دون جدوى ، لا لأنّ الحَرَشِيّ قد فرّقهُ على غير المستحقّين بل لأن المال لم يُفرّق باسمه على الموالين له كأنه هديّة شخصيّة من مال ابن هُبَيْرة الخاص ، ففوّت عليه الحَرَشِيّ هذه الفرصة لحشد الأتباع والموالين بمال الدولة لا بماله ، لذلك غضب وأراد استرجاع المال نكاية بالحَرَشِيّ ، فما استطاع استرجاعه وباءت محاولته بالاخفاق .

---

(٣) . الطبري (٧ / ٢٠) .




ونعود الى الحَرَشِيّ إنساناً ، فقد جاء في بعض المصادر التاريخية ، أن الحَرَشِيّ قتل المُقَنّع بخُرسان سنة ثلاث وستين ومئة الهجريّة (٧٧٩ م) على عهد الخليفة المهدي العباسِي[٤] ، وأنّ الخليفة المهدي وجّه الحَرَشِيّ سنة ثمان وستين ومئة الهجريّة (٧٨٤ م) في أربعين ألف رجل إلى (طَبَرِسْتَان)[٥] ، وأن الحَرَشِيّ قدم على الخليفة هرون الرشيد بأربعمائة بطل من أبطال (طبرستان) فأسلموا على يدي الرشيد سنة تسع وثمانين ومئة الهجريّة[٦] (٨٠٤ م) . ومن الواضح أن الحَرَشِيّ الذي عمل في عهد بنى أمية وهو الذي تقرأ سيرته هذه ، غير الحَرَشِيّ الذي عمل في عهد بنى العبّاس التي تحدثت عنه تلك المصادر في حرب المُقَنّع وفي ولاية طبرستان ، فالفرق الزّمنيّ بين الاثنين كبير جداً ، فالأول تولى (خُرسان) سنة ثلاث ومئة الهجريّة ، فليس من المعقول أن يتولّى جيشاً ويقاتل المقنع سنة ثلاث وستين ومئة الهجريّة ، أي بعد ستين سنة ، ويتولى (طبرستان) سنة تسع وثمانين سنة من ولايته (خُراسان) ، أي بعد ست وثمانين سنة ! .

وقد ذكرت بعض المصادر أن الذي قتل المُقَنّع سنة ثلاث وستين ومئة الهجريّة هو سعيد الجُرَشِيّ[٧] لا الحَرَشِيّ ، وهو سعيد الحَرَسِيّ[٨] لا الحَرَشِيّ ، وهو سعيد الحُرَيشِيّ[٩] لا الحَرَشِيّ ، وأن الذي سار في أربعين ألفاً إلى (طبرستان) هو الجُرَشِيّ[١٠] لا الحَرَشِيّ .

كما ورد أنّ الذي قتل المُقَنّع سنة ثلاث وستين ومئة الهجريّة هو سعيد الحريثيّ[١١] .

---

(٤) . انظر الطبري (٨ / ١٣٥) و (٨ / ١٤٤) وابن الأثير (٦ / ٥١ ـ ٥٢) وذكرهما ابن الأثير في حوادث إحدى وستين ومئة الهجرية ، انظر تاريخ ابن خياط (٢ / ٢٦٩) .

(٥) . الطبري (٨ / ١٦٧) .

(٦) . الطبري (٨ / ٣١٦) .

(٧) . العبر (١ / ٢٤٠) .

(٨) . النجوم الزاهرة (٢ / ٣٨) و (٢ / ٤٥) .

(٩) . ابن خلدون (٣ / ٤٣٩) و (٣ / ٤٤٠) .

(١٠) . العبر (١ / ٢٥٢) .

(١١) . البداية والنهاية (١٠ / ١٤٥) .

والفرق كبير جداً بين سعيد الحَرَشِيّ وما جاء في المصادر الأخرى[١٢] .

وقد شبّ للحَرَشِيّ وترعرع وأصبح أحد ولاة بني العبّاس على الموصل ابن للحَرَشِيّ هو يحيي الحَرَشِيّ الذي تولّى (الموصل) لهرون الرشيد سنة ثمانين ومئة الهجريّة[١٣] (٧٩٦ م) ، وكان ليحيي هذا قصر في لَجَف[١٤] سور (نينوى) التي تقع على الجانب الأيسر من نهر (دجلة) مقابل مدينة (الموصل) يفصل بينهما النهر ، يعرف بقصر الحَرَشِيّ ، وسكن أولاده (الموصل) ويعملون حاكة[١٥] لصنع القماش الموصليّ .

وكان الحَرَشِي يكنى : أبا يحيي[١٦] ، وأمّه حبشيّة ، وولده بإرمينية كما ذكرنا وفي (الموصل) أيضاً .

ولا نعلم متى ولد ولا متى رحل ، وتفاصيل حياته إنساناً قليلة ، وذكرُ أخباره الشخصية نادر بعكس أخباره العامة ، فهي مستفيضة ، ويبدو من حياته العامّة أنه كان إدارياً حازماً ووالياً قديرا ، عصاميّ سوّد نفسه بكفايته وشجاعته وحزمه ، ولكنه كان عاثر الحظ في حياته الشخصية ، إذ كان يُحسن في أداء واجبه إحساناً فريداً ، ولكنه كان يجازى على إحسانه بالسجن والتعذيب ، لأنه يَعْمل ما (يجب) أن يُعْمل ، لا ما (يحبّ) أمراؤه أن يَعْمل .

وكان المتوقّع أن يقف المؤرخون طويلاً على إبراز سجيّته في (الابتداع) وتنكّره لسجيّة أمثاله في (الاتّباع) ، ولكنهم بخلوا عليه كثيراً ، فمثله في سجيته الابتداعيّة قليل نادر ، ولكنّ القطار السّريع كثيراً ما يتوقّف في المحطّات الصغيرة ولا يتوقّف في المحطّات الكبيرة .

---

(١٢) . الجرشي : نسبة الى جرش بطن من حمير ، وقيل موضع باليمن ، انظر لب الألباب (٦٢) . والخرسي : نسبة الى الحرس ، محلة بمصر وبطن من طيّئ ، انظر لب الألباب (٧٨) . والحرشي : نسبة الى الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، انظر اللباب (٧٨) . والحريثي : نسبة الى حريث جد ، انظر اللباب (٧٨) .

(١٣) . ابن الأثير (٦ / ١٥٣) وتاريخ الموصل (٢٨٦) .

(١٤) . لجف : سرة الوادي ، انظر تاج العروس (٦ / ٣٤٢) .

(١٥) . تاريخ الموصل (٢٩٣) .

(١٦) . الطبري (٧ / ١٦) .





وحظوظ الأفذاذ مختلفة بالنسبة للمؤرخين ، فمنهم مَن أخذ حقّه كاملاً ، ومنهم مَن غُمط حقّه ، ومنهم مَن أخذ أكثر من حقّه ، ومن الذين غمطهم التاريخ سعيد الحَرَشِيّ .

القائد

اتّخذ سعيد الحَرَشِيّ الجنديّة مهنة له ، فرفعته هذه المهنةُ بالتدريج ، حتى تسنّم المناصب القيادية الرفيعة ، وأصبح أحد قادة الأُمويين اللّامعين ، يستعين به الخلفاء في المُلمّات .

تولّى خُراسان بعد أن اشتعلت ناراً ، بإيعاز من الخليفة يزيد بن عبد الملك ، فاستعاد فتح ما نقض منها وأعاد إليها الأمن والسّلام ، خلال أشهر معدودات .

وتولّى حرب إرمينية بعد أن استُشهد قائدها العام وأُبيد جيش المسلمين فيها قتلاً وأسراً ، وتولاها بأمر من الخليفة هُشام بن عبد الملك ، فاستعاد فتحها وأعاد إليها الأمن والسّلام خلال أشهر معدودات .

لقد أصبح الحَرَشِيّ رجل السّاعة من بين القادة البارزين في الدولة ، وهذا منتهى النجاح الذي يمكن أن يطمح إليه جنديّ ارتقى إلى منصب القيادة ، ثم ارتقى بين القادة إلى مكان الصّدارة ، فأصبح الملجأ الذي تتّجه إليه الأنظار حين تَدْلَهِمّ الخُطوب .

ومن الواضح أنه شهد معارك لتوطيد الأمن في الداخل ولاستعادة الفتح في الخارج قبل معركة (العَقْر) التي تولىّ فيها القيادة . إذ أثبت وجوده في المعارك الأولى جنديّاً متميّزاً أهلته كفايته لتولي القيادة في معركة (العَقْر) ، ولكنه في هذه المعركة أثبت وجوده قائداً متميّزاً بالاضافة إلى اثبات وجوده جندياً متميّزاً في معاركه الأولى .

وكان موقفه في معركة (العَقْر) مشهوداً ، ولكنّ هذا الموقف غُمط بعد المعركة غمْطاً متعمّداً حتى يُحرم من ثمرات النصر ، إلاّ أنّ يزيد بن عبد الملك الذي تسامع بموقف الحَرَشِيّ المشرّف في معركة (العَقْر) من مصادر غير رسمية ، أنصف الحَرَشِيّ وأعطاه حقّه الذي تعمّدت المصادر الرسميّة غمطه ، فشارك غيره في ثمرات النصر ، ولم يقتصر على تحمل ويلات المعركة ليستأثر غيره بالثمرات .



فقد كانت ثورة يزيد بن المُهلَّب على يزيد بن عبد الملك ثورة عارمة حقاً ، فالمهالبة من سادات العرب وقادتهم ، وكانت لهم مكانة رفيعة بين الناس وشعبيّة طاغية ، وقد خلع يزيدُ بن المهلّب يزيد بن عبد الملك[١٧] ، فكانت معركة (العَقْر) بالنسبة ليزيد بن عبد الملك معركة حياة أو موت ، لأنها من المعارك الداخليّة الحاسمة ، لذلك كتب ابن هُبَيْرة أمير العراق إلى يزيد بن عبد الملك بأسماء الذين أبلوا يوم (العَقْر) بلاءً حسنا ، ولم يذكر الحَرَشيّ في قائمة الشرف ، فلما قرأ يزيد بن عبد الملك أسماءهم ، قال : « أين الحَرَشيّ ! ؛ فوالله ما كان الفتح إلاّ على يديه ، وما قتل المتمردين غيره » ، فكتب إلى ابن هُبَيْرة يأمره أن يولي الحَرَشيّ خُراسان[١٨] .

وتولّى الحَرَشيّ خُراسان ، فكان عند حسن ظنّ الخليفة به وعند حسن ظنّ الناس به أيضاً .

وتولى هُشام بن عبد الملك بعد وفاة أخيه يزيد بن عبد الملك ، وأُصيب المسلمون في إرمينية واستُشهد قائدهم الجرّاح بن عبد الله الحكَميّ ، وأصبح مَن بقي فيها من المسلمين أسرى وسبايا إلاّ الذي بقي منهم خائفاً يترقّب في بلد محاصَر لا يعرف أهله متى يقتحمه العدو أو في بلد لا يدري أهله متى يُفرض عليهم الحصار .

حينذاك بادر هُشام إلى استدعاء الحَرَشيّ ، فبسط بين يديه موقف المسلمين اليائس في إرمينية ، فاقترح الحَرَشيّ عليه أن يتولىّ أمر إعادة الأمور إلى نصابها في ذلك البلد النائي البعيد ، وسأله أن يحمله على دواب البريد التي كانت أسرع واسطة للتنقّل يومذاك ، فبعثه هشام على رأس قوّات خفيفة سريعة ، وسار على عجل يبسط للمسلمين في طريق رحلته الشاقّة الطويلة ما حاق بالمسلمين في إرمينية ويندبهم للجهاد .

ولم يكد يصل إلى إرمينية إلاّ وانقضّ كالصقر على الخَزَر ، واستعاد فتح البلاد ورفع الحصار عن المدن المحاصَرة واستنقذ الأسرى والسبايا ، فصدق وعده للخليفه وأعاد الأمن والسّلام إلى إرمينية .



(١٧) . الطبري (٦ / ٥٧٨) .

(١٨) . تهذيب ابن عساكر (٧ / ١٦٤ - ١٦٥) وانظر الطبري (٦ / ٦٢٠) . وابن الأثير (٥ / ١٠٣) ، وفي الأصل ، قتل المرتدين ، ولم يكن هناك مرتد بل كان هناك متمردون ، ولعل هذا الخطأ تصحيف .



فما هي مزايا قيادة الحَرَشِيّ ، الذي أخذت بيديه في طريق التقدم من جندي مغمور إلى قائد لامع ، إلى قائد يحتلّ مركز القيادة المرموقة في ساعة المحنة ، فيتخطّى الأهوال والصعاب بسرعة وكفاية ؟ ؟ .

لقد اتّخذ الحَرَشِيّ الجندية مهنة له ، وكانت هذه المهنة محبّبة إلى نفسه ، فهو من هواتها ، عاش لها وبها ، مما يدلّ على أنّ طبعه الموهوب جعله يهب نفسه للجنديّة ويتفرّغ لها في حياته تفرغاً كاملا .

وربما يتبادر إلى الأذهان أنه امتهن الجنديّة لفقره وعَوَزه ، وقد كان فقيراً مُعْدماً حقاً في أيامه الأولى ، ولكنّ المرتزق في الجنديّة لا يبرز فيها بروزاً هائلا . كما أنه أصبح والياً ولكنه بقي والياً غازيا ، فعاش مع الجُنْد في الفيافي والقفار ولم يعش مع المدنيين في المدن والقصور .

إنه صاحب طبع موهوب في الجنديّة ، فهو جندي من أخْمَص قدمه إلى قمّة رأسه ، امتهن الجندية ولم يمتهنْها[١٩] .

وقد طعَّم هذا الطبع الموهوب وشذّبه بالعلم العسكري المكتسب في استعمال السّلاح والفروسيّة ، وبالتجربة العملية في ممارسة الحروب داخليّاً في القضاء على الفتن والثورات الداخلية ، وخارجياً في استعادة البلاد المفتوحة وفي ضمّ فتح جديد ، وبذلك اجتمع له عناصر النجاح للقائد ومزايا للقائد المتميز : الطبع الموهوب ، والعلم المكتسب ، والتجربة العملية .

واجتماع هذه المزايا الثلاث في الحَرَشِيّ هي سرّ نجاحه قائداً ، وتميّزه بالنجاح قائداً متميّزا .

وقد كان يتمتّع بشجاعة نادرة وإقدام فذ ، والشجاعة والأقدام وحدهما قد يؤديان إلى التهلكة نتيجة للمغامرة غير المدروسة ، وقد كان الحَرَشِيّ يتميّز بروح المغامرة حقاً ، ولكنها مغامرة يقودها عقل متزن وذكاء لامع ، لذلك كانت مغامراته تؤدي إلى النصر دائماً ، فلمْ تُهزم له راية أبدا . . .

(١٩) . امتهن الجندية : اتّخذها مهنة له . ولم يمتهنها : لم يبتذلها . وامتهن : اتّخذ مهنة ، وامتهن الشيء : ابتذله .

وحُبّ الحَرَشيّ للمغامرة العاقلة ، أدّت به إلى تطبيق : (حرب الصّاعقة) التي تتميّز بالسرعة والجرأة والمغامرة والاندفاع ، فقد كانت حربه في إرمينية نوعاً مثالياً من حرب الصّاعقة التي تميّز فيها ثلاثة من قادة الفتح الأولين : خالد بن الوليد والمُثنّى بن حارثة الشّيْبانِيّ والحَرَشيّ .

ونهوضه بالحرب الصّاعقة أو الحرب الخاطفة ، دليل على حبّه لتحمّل المسئوليّة ، فهو يتقبّلها ولا يلقيها على عاتق غيره ، ويتحمّل وحده نتائجها . وهو كذلك يعمل ما يُملي عليه الموقف الراهن ويقرّر وينفّذ ما يقرّره ، غير منتظر وصول الأوامر إليه من القادة الذين يعمل بأمرتهم ، فقد تضيع عليه الفرصة السّانحة إذا بقي مُسْتَكِنّاً مُجَمَّداً إذا انتظر أوامر غيره ، فهو قائد (مُبْتَدِع) وليس قائداً (مُتّبعا) .

والدليل على أنه كان مغامراً عاقلاً لا أهْوَجَ ، هو استشارته وتقبّله للمشورة ، وتنفيذ رأي المُشير إذا اقتنع به ، وحينذاك تصبح روح المغامرة والاندفاع فيه أناة وتحفّظا[٢٠] ، ولكنها أناة المتربّص وتحفّظ المتخفّز .

وكان الحرشيّ يقود رجاله من الأمام ، فيقول لهم : « اتبعوني » ، وهو يقاتل أمامهم ، ولا يقود رجاله من الخلف ، فيقول لهم : « تَقَدموا » ، وهو يقبع في الخلف لحماية نفسه في مكان أمين .

وكان مثالاً شخصياً لرجاله في الشجاعة والاقدام والاستقتال في الحرب ، وهو القائل :

ولست لعـــامرٍ إنْ لم تَروني ... أمام الخيل أطْعَنُ بالعوالي
فأضْربُ هامَةَ الجبّار منهم ... بعضب الحدّ حودث بالصّقال
فما أنا في الحروب بمُسْتَكِيْنٍ ... ولا أخشى مُصَاولة الرِّجال

وقد قال ذلك في حشد من رجاله بعد تولي خُراسان ووصوله الى مقرّ عمله[٢١] .

---

(٢٠) . انظر الطبري (٧ / ٨) وابن الأثير (٥ / ١٠٧) .

(٢١) . الطبري (٦ / ٦٢١) وابن الأثير (٥ / ١٠٤) .

والقائد الذي يجعل من نفسه مثالاً شخصياً لرجاله ، ويطبّق أفعاله على أقواله ، ويلتزم بما يقول التزاماً صارماً ، هو الذي يقود رجاله إلى النصر ، أما القائد الذي يقول ولا يفعل ، فلا يقود رجاله إلاّ إلى الهزيمة .

كان لاينامُ ولايُنيِم ، ولا يُريح ولا يستريح ، يحرّض أصحابه على القتال ، يتميّز بمنطق أخّاذ وبيان مُشرق وقابليّة نادرة على الخطابة في مواجهة الجماهير[٢٢] ، مِسْعَر حرب[٢٣] يجد راحته في القتال لا في الظِّلال .

وبقدر استئثار الحَرَشيّ بالخطر ، كان إيثاره بالأمن والسّلامة رجاله ، فقد كان يحرص على أرواح المسلمين ولا يغرِّر بهم ، وكان حرصه الشديد بالمسلمين مضرب الأمثال[٢٤] .

وكان الحَرَشيّ يتحلّى بالضبط المتين ، ولا يتخلّى عنه ويلتزم به التزاماً صارماً ، ويطالب رجاله بالالتزام به التزاماً صارماً ، مما أشاع النظام في رجاله وجعلهم ينفِّذون أوامره نصاً وروحاً .

والقائد الذي لايتحلّى بالضبط لا يستطيع أن يفرضه على غيره ويشيعه في رجاله ، والجيش الذي لايتحلّى بالضبط المتين لا ينفِّذ الأوامر الصّادرة إليه بحرص وأمانة ، وتنهار معنوياته بسرعة خاطفة ، فيولى الأدبار .

وكان الحَرَشيّ يطبّق مبدأ المباغتة ، وهي أهم مبادئ الحرب على الإطلاق ، وقد طبّق هذا المبدأ بالمكان ، فهاجم العدو في مكان لا يتوقّعه ، وبالزمان فهاجم العدو بوقت لا يتوقعه وبسرعة لا يتوقّعها .

وكان يطبّق مبدأ المعنويات ، فوجوده في القيادة يرفع معنويات رجاله من جهة ، فهو فارس قَيْس بشهادة عدوّه الّلدود ابن هُبَيْرَة الذي يكرهه[٢٥] ، وهو فارس العرب

---

(٢٢) . الطبري (٦ / ٦٢١ ـ ٦٢٢) وابن الأثير (٥ / ١٠٣ ـ ١٠٤) .

(٢٣) . مسعر حرب : موقد حرب .

(٢٤) . ابن الأثير (٥ / ١٠٧) .

(٢٥) . الطبري (٧ / ١٦) .




بشهادة (كارزنج) أحد قادة الصُّغد البارزين[٢٦] ، ويؤثر في معنويات أعدائه من جهة أخرى .

كما أنه بانتصاراته المتوالية ورايته التي لم تهزم أبداً ، يرفع معنويات رجاله ويؤدي بمعنويات أعدائه إلى الإنهيار .

ولا ينتصر جيش إلاّ إذا كانت معنوياته عالية ، فالمعنويات لاتقلّ أهمية عن الماديّات في إحراز النّصر .

وكانت انتصارات الحَرَشِيّ حافزاً للشعراء في مديحه ، فقال الشّاعر في وصف انتصاره على الخَزَر في إرمينية :

أنت الذي أدرك اللهُ العِبَادَ بِهِ ... بَعْدَ البلاء بتأييدٍ وإظفارِ
موفّقٌ للهُدى والرُّشدِ مُضْطَلِعٌ ... كَيْدُ الحروب أريْبٌ زَنْدُه واري
تَضَمَّنَ الحَزْمَ والإيمانَ مِنْبَرُهُ ... كالصّبح أقبل في غَرٍ وإسفارِ
لأمْتَ ما شِئتَ من شِعْبٍ ومن شُعَبٍ ... للمسلمين بِجَدٍ غير عَثّارِ
على أوانٍ شديدٍ ليس يعلمه ... من شأننا كان غير الخالقِ الباري .
قد أبْدَتِ الحربُ فيها عن نواجذها ... وشَمّرتْ عن شذاها أيَّ تشمار
وأنتَ يوم أبي جَرْوانَ[٢٧] إذ رَجَعتْ ... فيه الطّراخين ذو نقضٍ وإمْرارِ[٢٨]
لقيتَهم بِليوثٍ في اللّقاء وقد ... وافوا بأرْعن بادي الزّمِّ[٢٩] جرّار
فَجُسْتَهم جَوْسَ قَرْمٍ[٣٠] ما يُقيلُهم ... بالخيل تنْقضّ أوتاراً بأوتارِ
والخيل ساهِمَةٌ نَضْحُ الدّماء بها ... من علّها بَعْدَ إنهال وإصدار[٣١]
من كلّ طِرْفٍ شَديد الشَّغْب مُنْصَلِتٍ ... نَهْدٍ أشَقّ كَصَدْرِ الرُّمح خَطّارِ
فَهُمْ يُوَلّونَ والفُرْسانُ تَضْرِبُهُمْ ... بكلّ عَضْبٍ شَديدِ المَتْنِ بَتّارِ

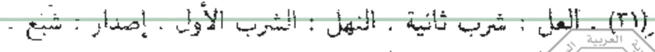
(٢٦) . الطبري (٦ / ٦٢٢)

(٢٧) . في الأصل : حزوان ، والصحيح : جروان وهي : باجروان ، مدينة بإرمينية .

(٢٨) . إمرار : تنغيص ، وأمرّ الشيء : صيّره مُرّاً .

(٢٩) . الزّمّ : الشموخ والتكبّر .

(٣٠) . القرم : السيّد المعظّم .



(٣١) . العل : شرب ثانية . النهل : الشرب الأول . إصدار : شبع .



أمـــامَ ليْثٍ هـِـزَبْرٍ فُرْهُـــدٍ[٣٢] أَزِرٍ[٣٣] صُلْبِ الدَّواس[٣٤] هصُوْرٍ هَيْصَمٍ ضاري[٣٥]

عَبْـلِ الـــذِّراع أبي الشِّبلين ذى لِبَـــدٍ دِلَمّسٍ هـو عَـــدَّاءٌ على السَّـــارى[٣٦]

ويـومُ أسراب[٣٧] إذ جــاشَتْ جموعُهمُ وأسْعَروا نـــار حربٍ أيّ إسعَـــار

وأقبلـــــــوا كالتماع البرق يبْضُهُمْ لهم عِصَـــار تراه بعـــد إعصـــار[٣٨]

فَسِرتَ بـالخيـل والرَّايـاتُ تَقْـدُمها بخيْرَة من عبـــادِ اللهِ أخْيــــار

أمـــدَّكَ اللهُ ربُّ العـــالمينَ بهمْ مُسَوّمين أمـــام النّـاس أنصـــار

فـأهْلَـكَ اللهُ جَمْعَ الشِّرْكِ إذ رَجعـوا على يَـديْـك وأخْـزَى كلَّ كفّـــار

ولا نعرف شيئاً عن قائل هذا الشِّعر ، ويبدو أنه من فرسان الأعراب الذين يتقنون الألفاظ الجاسية الحوشيّة ومفردات الخيل والسِّلاح والأُسد والأبطال ، فهو فارس معجب بفارس ، وليس شاعراً متكسِّباً .

لقد كان الحَرَشيّ سريع القرار صائبه ، ذا طبع موهوب وعلم مكتسب وتجربة عمليّة ، يتحلّى بالشجاعة والإقدام ويتميّز بالفروسية التي تفوّق بها على الأقران ، ويتمتع بروح المغامرة والذكاء الألمعيّ ، ويطبّق حرب الصّاعقة في حروبه ، مبتدعاً لا متّبعاً ، يقود رجاله من الأمام ويجعل من نفسه مثالاً شخصياً لرجاله ، ذا ضبط متين ، حريصاً على أرواح المسلمين ، يطبّق مبدأ المباغتة ومبدأ المعنويات .

إنه فارس العرب ، يثق بنفسه وبرجاله وقيادته ويثقون به ، ويحبونه ويحبهم ، ويخلص لهم ويخلصون له ، ذو شخصية قويّة نافذة ، كوّن نفسه بكفايته ومزاياه لا بنسبه وحسبه ، وتولّى المناصب القياديّة والإداريّة بجهده وسعيه وعرَقه ، فسعت إليه

(٣٢) . فرهد - في الأصل : فرهم . والفرهد : ولد الأسد . والفرهد من الغلمان : الحسن الممتلئ .

(٣٣) . الأزر : القوّة .

(٣٤) . الصلب : الشديد القوي . والدّوّاس : وصف للمبالغة . الشجاع الذي يدوس أقرانه .

(٣٥) . الهصور : الأسد . الهيصم : الغليظ الشديد الصّلب . والضاري : المفترس .

(٣٦) العبل : الضخم من كلّ شيء ، ويقال : عبل الذراعين . والشّبل : ولد الأسد . لبد : جمع لبدة : الشعر المتراكب بين كتفي الأسد . الدلمس : الداهية . العدّاء : الشديد العدو من الناس والخيل .

(٣٧) . أسراب : جمع سُربة : الجماعة ينسلون من المعسكر فيغيرون ويرجعون .

(٣٨) . العصار : الغبار الشديد . الإعصار : ريح تهبّ بشدة وتثير الغبار .






تلك المناصب ولم يتولّها بالوراثة أو بالتزلّف أو بالوسائل الأخرى .

إنّ الحَرَشِيّ قائد قد لايتكرّر إلاّ نادرا .

الحَرَشِيّ في التاريخ

يذكر التاريخ للحَرَشيّ ، أنّه قائد عِصاميّ ، بدأ حياته العمليّة جنديّاً ثم تدرّج في سلّم العسكرية حتى أصبح قائداً في الذّرْوة .

ويذكر له أنّه بذل قصارى جهده في القضاء على الثورات والفتن الداخلية دفاعاً عن سلامة الدولة وكيانها .

ويذكر له أنّه استعاد فتح بلاد الصُغْد (تركستان الغربية) من خُراسان وأعاد إليها الأمن والسّلام بخاصة وإلى خُراسان بعامة ونشر العربيّة لغةً والإسلامَ ديناً في ربوع خُراسان .

ويذكر له ، أنّه استعاد فتح إرْمِيْنِيَة ، وأعاد إليها سلطة الدولة الإسلامية ، ونشر العربيّة لغة والإسلام ديناً في ربوعها .

ويذكر له ، أنّه استنقذ عشرات الألوف من أسرى المسلمين الذين كانوا تحت سيطرة الصُّغد في خُراسان والخَزَر في إرمينية ، وقلب الموازين في تلك الأرجاء الشّاسعة لصالح المسلمين .

ويذكر له ، أنّه كان قائداً وإداريّاً (مُبْتَدِعاً) يعمل ما تمليه عليه المصلحة العامة ، وليس قائداً وإدارياً (مُتَّبعاً) ينفّذ أوامر السُّلطة حتى ولو ناقضت المصلحة العامة ، فكان بحق رجل دولة بكل معنى الكلمة لا إمَّعَةً يميل مع الأهواء .

ويذكر له ، أنّه أحرز انتصارات باهرة داخلياً وخارجيا ، فعُوقب عن انتصاراته بالحبس والتعذيب والتنكيل ، لأنّه كان يعمل ما (يجبُ) أن يُعْمل لاما (يُحِبّ) رؤساؤه أن يعمل .

ويذكر له أنّه كان في الحرب يقود الجيوش في أخطر ميادينها ويكون مقرّه في

خطوطها الأماميّة ، فإذا حلّ السّلام استثمر غيره نتائج انتصاراته ، فيكون مقرّه في السجون متحملاً العذاب الأليم .

ويُذكر له ، أنّه كان فارس العرب دون منازع ، يستأثر بالأخطار ويستأثر غيرُه بالغنائم .

ويذكر له ، أنّه كان رجل السّاعة في الملمّات ، ورجل السُّجون في النزهات .

ويذكر له ، أنّه كان يؤثر أن يكون غازياً في العَراء ، على أن يكون والياً .

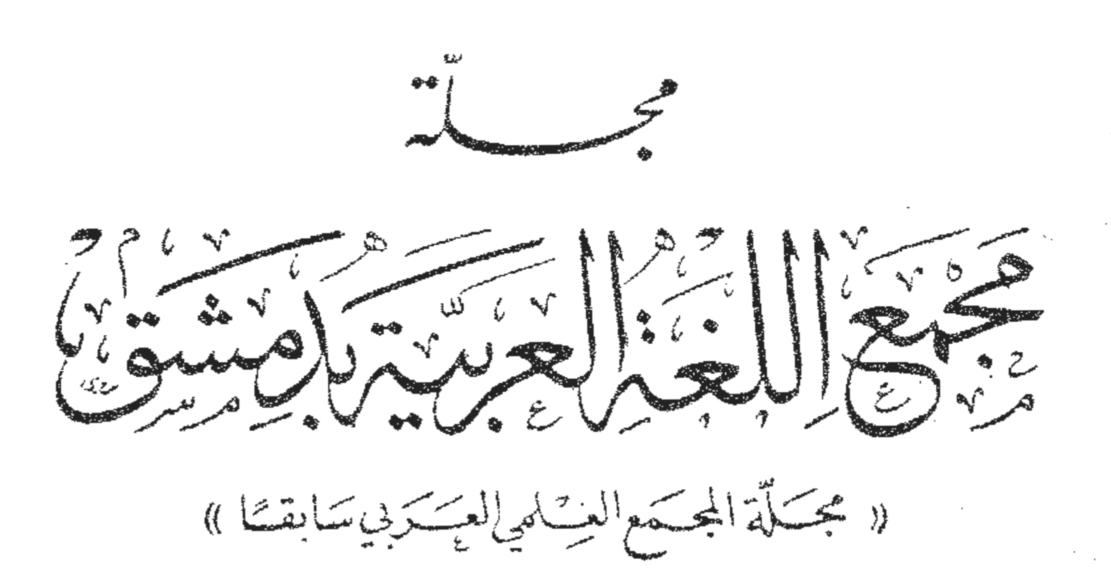
ويذكر له ، أنّه كان يقود رجاله من الأمام لا من الخلف ، وكان أسوة حسنة في التضحية والإقدام .

ويذكر له ، أنّه قائدٌ توفّرت فيه الشروط الكاملة للقائد المتميّز : الطبع السليم والعلم المكتسب ، والتجربة العمليّة .

إنه القائد الفاتح ، فارس العرب ، سعيد بن عمرو الحَرَشيّ .

اللواء محمود شيت خطاب

الجزء الرابع المجلد السادس والخمسون





ذو الحجة ١٤٠١ هـ
تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٨١ م

المقالات		الصفحة
نظرة في معجم المصطلحات الطبية (٥٠)	الدكتور حسني سبح	٧٢١
استدراك النقصان في مقالة أسماء أعضاء الانسان (١٠)	د .محمد صلاح الدين الكواكبي	٧٣٧
أبو القاسم القشيري	الاستاذ عبد الكريم زهور عدي	٧٥٣
سعيد بن عمرو الحرشي فاتح شطر إرمينية وشطر خراسان (تتمة)	اللواء الركن محمود شيت الخطاب	٧٩٤
إيشارب	الاستاذ وهيب دياب	٨٠٧

التعريف والنقد

شعر منصور النمري صنعه الطبيب العشاش	الدكتور شاكر الفحام	٨١٥
نظرة في المعجم الهندسي الموحد	الاستاذ المهندس وجيه السمان	٨٥٤
القول في الجماد	الدكتور محمد هيثم الخياط	٨٧١

آراء وأنباء

المؤتمر السادس عشر لتاريخ العلوم ببخارست	الدكتور عبد الكريم اليافي	٨٧٣
جامعة الصالحات ببهتكل	ابن الهلال الهندي	٨٨١
شكروإيضاح	الدكتور أنس سبح	٨٨٣
أسبوع العلم العشرون وكتاب ابن سينا	الدكتور نسيب نشاوي	٨٨٦
ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلحات الطبية بالرباط		٨٨٧
مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق لعام ١٩٨١ م		٨٩٠
التقرير السنوي عن أعمال المجمع في دورته المجمعية ١٩٨٠ - ١٩٨١ م		٨٩٤
الكتب المهداة الى مكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق في الربع الثالث لعام ١٩٨١ م	محمد مطيع الحافظ	٩٠٤
الفهارس العامة للمجلد السادس والخمسين: أ - فهرس المواد منسوقة على حروف المعجم؛ ب - فهرس كتاب المواد منسوقة علىحروف المعجم		٩١٢
الفهرس		٩١٨

